من سقوط الخلافة إلى مولد الصحوة

الكتاب الثالث

قضايا المجتمع الإسلامي

أنور الجندي

بيت الحكمة - ص . ب (٥ - ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر - ت. وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

بَيْتُ الحِكْمَة
للإعلام والنشر والتوزيع
١٠١ شارع القائد/منشية الصدر/القاهرة
مصر (ص.ب ١٣٤١١/٥) شبرا الخيمة
هاتف وفاكس ٢٢٠٣٨٩٩ و ٢٢٠٧١٢٤

فهرس الكتاب

الفصل الأول

مسئولية الفن والمسرح في المجتمع المسلم

أنور الجندي

بيت الحكمة ص ب (٥ ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر ت وفاكس ٧١٢٤ ٢٢

المسلمين مصدرها الانحلال الخلقي .

هزائم

عرف العدو هذه الظاهرة الخطيرة : ظاهرة نشر عوامل التدمير الخلقي وفي مقدمتها الخمر والميسر والإباحية والكأس والطاس فركز النفوذ الأجنبي على هذا الباب الخطير الذي أضاع ملك المسلمين في الأندلس وحطم معنوياتهم وصرفهم عن الرباط في الثغور .

وقد تحدث الاستشراق عن الغزو للأمة الإسلامية عن طريق الفن والمسرح ، وعن طريق الخمر والربا وتدمير المقاومة النفسية بالانحلال عن طريق الغناء والمسرح وجاء بعض خبراء التغريب ليطالبوا بتعليم المسلمين الرقص الذي يغمر مدارس البنات فضلاً عن أوكار الفن الخليع والمسرح ، والفنون المبتذلة ورباطيات الحشيش والفساد الخلقي ولعب القمار .

ولقد كان من أكبر إهتمامات التغريب ترويج الفكر الذي يشجع على هذا الانحراف وكان طه حسين أول من ابتدع ترجمة القصص الجنسي المثير في الصحف اليومية ومن قبله قام المارون بترجمة عشرات القصص المكشوفة كما شجع على ظهور القصة المصرية أو العربية المنقولة من القصص الغربي .

ولقد فتح المسرح الباب واسعاً أمام تقديم قيم منحرفة ومضطربة لهدم القيم الإسلامية الحقيقية التي عرفتها المجتمعات الإسلامية وكان أخطر ما قدمت (المسرحيات) : ذلك الصراع بين الرجل والمرأة تحت اسم العاطفة الجنسية والتي أطلقوا عليها اسم (الحب) تجاوزاً ، ولقد قال دهاقين التغريب : إن العرب لا يستطيعون كتابة القصة إلا إذا دخل المجتمع مرحلة السفور والاختلاط لأن هذا المجتمع هو الذي سيحقق

الصدام بين العواطف والمشاعر ، سواء بين الرجل والمرأة (غير الزوجة) أو بين المرأة والرجل (غير الزوج) على طريقة اللقاءات التي تتم في العمل والشارع والبيت أحياناً عن طريق صديق العائلة .

ومن ثم تنشأ تلك الرغبات الجنسية التي لا يقرها الوضع السوي ، ومن هنا كانت عمليات الحصار والمطاردة والاغتصاب التي هى مادة المسرح وقصصه ، والتي تقدم أسلوب الدراما ، على طريقة الصراع بين العواطف والمشاعر ، وإذا كان هدف هذا النوع من القصة توجيه الشباب إلى هذه الجوانب وإعطاء شرعية زائفة وجرأة على اقتحامها فإن هناك محاولة أخرى .

ولقد تعدى هذا الأسلوب إلى مجال القصص التاريخي ، وذلك بهدف تزييف وقائع التاريخ تحت تأثير مسلمة باطلة كاذبة ، هى أن الفنان من حقه أن يغير الوقائع (أي يزيفها) من أجل (فنية) القصة ولقد قال أحدهم في هذا الصدد :

نحن نزور التاريخ وأنتم تدفعون الثمن .

* * *

ولقد كان الفن والمسرح وسيلة تسلية وترويح في بساطة القصص ، ولكن سرعان ما استحوذت على هذه الفنون عملية الهدم والتدمير فأصبحت حواراته ماكرة خبيثة حيث تستبطن المسرحيات والفنون فكرة هدم المجتمع وتدمير وحدته الاجتماعية (الأسرة - المنزل - المرأة) وإشاعة روح التحلل والخلل في جوانبه ، سواء بين الرجل والمرأة أو بين الآباء والأبناء ، فالإضحاك الساخر الذي يسخر من كل القيم ويتهكم على

كل المسلمات والعبث بالأخلاق أساساً هو ما يسمى بالفن وهو ليس في الحقيقة إلا مباذل وفكاهات توحي بأنه لا قيمة مطلقاً لأي قيمة من قيم الحياء أو الخلق أو الخير ، ومن أشد أنواع السخرية أن يطلق على هذا نوع من القداسة بحيث لا يستطيع أحد أن يقترب منه أو ينتقده ويتركز هذا الإضحاك أساساً على الدين وعلى القيم الأخلاقية ويسمى الحياء والعفاف سذاجة وعبطاً .

ونحن نعترف ان هذا الفن الغربي المصدر لنا له ظروفه وأوضاعه في مجتمعات لا يشغلها شئ عن اللهو والعبث وعبادة الأجساد والمبالغة في الكشف والذهاب إلى المدى البعيد من مطامح الأهواء والشهوات على النحو الذي ورثه الغرب عن الإباحيات اليونانية الرومانية الملطخة بالدماء سواء في ساحات عبادة الآلهة أو صراع الثيران .

وهذا كله شأن طبيعة بشرية تختلف عن طبيعتنا نحن المسلمين التي تكونت في أعماقنا منذ أربعة عشر قرناً في ظل العفاف والإيمان والطهر والنقاء ومن هنا علت صيحة تحرير الترويح من الفحش وألا تكون هناك قداسة إلا لقيم العقيدة .

إن الإسلام بمفهومه الكريم للترويح في بساطته وسماحته لا يمكن أن يوصف بالكآبة أو بالإظلام والحياة ليست في الحقيقة لهواً كلها ولا يمكن أن تكون ، والمسلمون يقدرون قيمة الوقت ولا ينفقونه في العبث ولا يضيعونه في غفلة سادرة وراء ساعات طويلة ينفصل فيها المسلم عن مسئوليته ومهمته وعلاقته بربه .

إن هذه الصورة التي يحدثها الفن والتي يسميها الدكتور فؤاد زكريا (بهجة الحياة) ليست بهجة حقيقة كما يظن ولكنها بهجة عارضة

مصطنعة أشبه بالمخدر سرعان ما تزول . إن بهجة الحياة الحقيقية لا تكون بالإثم والفاحشة والكلمة المكشوفة والانحلال والانحراف وإلغاء حدود القيم وضوابط المجتمعات على النحو الذي يقدمه أهل الفن وخلفياتهم مكشوفة للجميع ، هذا فضلاً عن أن (جدية الحياة) ليست كآبة ولا إظلاماً وخاصة في مجتمع كادح مازال يعاني في سبيل امتلاك إرادته ، ولا يستطيع أحد أن يخدعنا عن أن كل حرية لها ضوابط ، من القيم الاجتماعية والخلقية والدينية السائدة في مجتمعه ، ونحن أمة مستهدفة من حصار فتآمر يرمي إلى احتواء هذه الأجيال وتدمير قدرة الأمة على اختيار الوجهة الصحيحة : الوجهة الربانية الخالصة من الإثم والعبث الذي يسمونه (بهجة الحياة) .

ومن المستحيل أن تقبل دعاوى المدعين بأن هذه المسرحيات ليست إلا من قبيل إضحاك الناس وتسليتهم وتخفيف معاناة الحياة عنهم ، أما القول بأنها مدرسة لها وجهة ومنهج وعمل ، بهدف تصحيح مسار الحياة ونقد المجتمع بهدف إصلاحه فهذا كله من الكذب الذي يردده الذين يدعون أن الفن رسالة وقداسة وهدف .

إننا نعرف أن القائمين على المسرح ، لا يريدون إلا الكسب المادي بأي ثمن ومن هنا نجد أنه تجرى محاولات مستميتة لإضحاك الناس بأي ثمن ، وعن طريق أشياء لا تضحك وإنما تثير السخرية ، إننا نعرف أن القائمين على المسرح يضعون أمام أعينهم هدفاً واحداً هو (دخل الشباك) وفي سبيل هذا الهدف المادي ترسم المسرحيات ويكتب الحوار دون تقدير لأي قيمة أخلاقية أو فنية ويكذب أمثال أنيس منصور وغيره في دعواهم الباطلة بأن المسرح هو منطلق للإصلاح أو ما يسمونه العلاج

الجماعي ، والواقع أن الناس يضحكون على أنفسهم وعلى بعضهم البعض .

والحقيقة التي أصبحت واضحة جلية اليوم : إن الإضحاك والتسلية تحولتا إلى فن يراد به هدف خطير من وراء النصوص والكلمات ، لقد كان الإضحاك والترويح عملاً بسيطاً يسيراً سهلاً يدخل إلى القلوب دون تكلف ولا يعني أكثر من إحداث السرور الذي لا يخدش الحياء ولا يذهب بالقيم ولا يجرح الأخلاق .

كان هذا هو (الترويح) في صورته البسيطة الساذجة التي عرفتها العهود الأولى والتي كانت تجري في إطار القيم فلا كلمة جارحة ولا عبارة خارجة ولا مطمع في الإساءة إلى العرض أو الشرف أو الكرامة ولكن هذا لم يعجب الذين يريدون إفساد كل شئ وتدمير كل شئ ، فقد تعقدت أيضاً حتى برامج الترويح وتحولت إلى علوم وفنون وهم قد سخروا من هذا الترويح وفرضوا مفهوماً آخر يستمد قدرته من أحقاد الأمم والرغبات المنطلقة إلى إفساد القيم وتدمير مقومات المجتمع وإلى إثارة الغرائز وإعلاء مشاعر الإباحية والكشف في مجتمع قام على الحياء والعرض وحفظ البكارة والبعد عن الفاحشة .

وقد تسربوا إلى ذلك من عدة طرق أبرزها القصة المكشوفة والمسلسل الهابط الأسلوب ، والمسرحية النازلة ، في إطار من دعاوى كتاب وصحفيين لامعين ، يحاولون أن يقيموا قدساً للفن يحوي في داخله كل ظواهر الفساد والسقوط .

ذلك هو هدف القوى المدمرة التي سيطرت على الفنون فأعطتها ذلك الطابع الجديد الذي أطلق عليه الفن وما يتصل به من قوانين الحوار ، وما

وراء الحوار من عقده ودراما ، وما يتصل بذلك من تراجيديا وغيرها .

ومن هنا فقد جرى تحويل وسائل الترويح اليسيرة السمحة إلى عملية معقدة أشد التعقيد ووضعت فنون المسرح والرقص والغناء في قوالب عامة ووضعت لها قوانين ونظم واعتبرت علوماً تدرس وأطروحات تقدم ويحصل أصحابها على درجات علمية عالية وهم حين يتحدثون عن هذه الفنون يتكلمون عن فلسفات منسقة تحاول أن تشرح أهواء النفس وشهواتها وإباحياتها ثم تغلف هذه الأوضاع بعبارات القداسة والإجلال التي لا يصل إليها العلم أو الدين وتبنى لها المسارح الكبرى الشامخة وتحشد لها أصحاب المزامير في أثواب زاهية براقة وآلات متعددة في صالات مضيئة تأخذ بالأبصار وتهز الألباب ، كل هذا ليُعطي فن الإضحاك والتسلية المطعم بسموم الهزء والسخرية والاحتقار لكل قيم الدين والأخلاق جواً من الرهبة والتقدير البالغ .

فإذا درست داخلية أغلب هذه المؤسسات وجدتها تعج بالفساد والقبح والشهوات والمطامع حيث تبرر أوضاع العرى والجنس وتجرى عبارات الرذيلة على أنها طبيعة الحياة بل وضرورة الحياة ، من خلال مفهوم أبيقوري خطير رسمته من قبل فلسفات العرى والإباحية اليونانية والرومانية ثم ورثته الحضارة العربية في إطار الماسونية فأوغلت فيه وأضافت إليه .

ويجرى ذلك كله بدعوى إسعاد النفس الإنسانية ومنحها ما تتطلع إليه من خلال نظرية فرويد عن الجنس التي تجددت من تراث اليونان وأبيقور القديم والتي فرضت قرضاً على الأدب القصة والمسرح وكل الفنون ، حركة إلى العرى وإلى القبح وإلى تصعيد الشهوات وإلهاب

المشاعر ظناً بأن فى ذلك إسعاد للإنسان بينما هى في حقيقة الأمر تحطيم لكيانة وهدم لوجوده الحقيقي ، ومحاولة لوضع الجنس البشري كله من الجويم[1] في درجة البهائم والحيوان وحتى لا تكون هناك أي قدرة على حماية مقدرات الأمم أو مقدسات الأديان ولقد احتضنت هذه الفنون المسمومة الزائفة قوى ضخمة ومؤسسات كبرى كالمسارح ودور السينما والمراقص والأوركسترات ودور الغناء وامتد ذلك إلى أدوات الإذاعة والتليفزيون ، كما امتد إلى المدارس والجامعات وحدد المخططون مثلاً وغايات لهدم كيان الأمة الإسلامية النفسي وكانت صيحة أكبرهم :

(علموا أولاد المسلمين الرقص)

وهى صيحة يجرى الآن تطبيقها في كل مجال ، ومن هذا المجال كله انفتحت أبواب الدعارة والفسق والمجون .

وعملت الصحف على إبراز أسماء هؤلاء الراقصين والمغنيين والممثلين على أنهم أبطال ونماذج عليا في حركاتهم وكلماتهم ووضعت هذه النماذج تحت سمع الشباب الغر البسيط على أنهم المثل الأعلى وجرت كلمات القبح والإباحية على ألسنة المغنين والمحاورين في المسلسلات بقصد هدم مكانة كل شئ كريم في المجتمع .

أولها : هدم العلاقة بين الآباء والأبناء وبين الأزواج والزوجات وفتح باب الإغراء أمام العناصر الرخوة في سن المراهقة بتصوير هذه الفنون الهازلة والحوار البذئ بأنه صورة مشروعة تجرى على كل لسان ، واختلطت عمليات الجنس والجريمة معاً في هذه الأعمال وجرت الدعاوى المثيرة التي تدعو الشباب إلى اقتناص الفرص والعب من الحياة والحاق

---

(١) - الجويم تعبير يهودى عن الأميين وهم المسلمون أو غير اليهود عموماً .

باللذات قبل أن تنتهي الحياة حيث لا حياة أخرى من بعد – فيما يعتقدون باطلاً – وأن هذه الحياة الدنيا بلذاتها وشهواتها ومطامعها هي غاية الغايات التي ليس بعدها غاية .

* * *

إن الظاهرة الواضحة هي هبوط مستوى كل ما يقدم باسم الفن ولا يكفي أن يتحدث المتحدثون عن إباحة الإسلام للفن والغناء والموسيقى دون أن يقدموا مفهوم الإسلام لهذه الإباحة وحدودها وضوابطها فالإسلام لا يقبل هذه الصورة الصارخة للموسيقى بكل صخبها وجلبتها ، وهذه الهالة التي تقدم بها لتشغل من وقت المسلم ساعات ليسمع ترنيمات غربية هي نفسها بعيدة عن أشواقه النفسية ويتقبلها البعض خداعاً للنفس ونفاقاً بدعوى التقدمية .

إن هناك فارقاً واسعاً وبوناً شاسعاً بين مفهوم الترويح الإسلامي وبين هذا الصخب الهادر غير المنضبط ، فالإسلام أساساً يدعو إلى ضبط الغرائز لا إطلاقها ، والتوسط في أمور المتاع دون إسراف وحماية الوجود الإنساني والكيان البشري من التصدع والانهيار وأن يظل المسلم واعياً لا يشغل عن حقيقة نفسه ولا عن عباداته وواجباته ونحن حين نقبل (أدوات الحضارة) وصناعاتها فلا يستطيع أحد أن يفرض علينا المضامين أو الكلمات أو الألحان التي يستعملها الغرب ، ولا الوجهة التي يتوجه إليها ، والتي لا تتفق مع مزاجنا أو طابعنا الخاص المتميز .

ويجب التفرقة بين موازين القيم وسلم القيم الذي يختلف في كل مجتمع عن الآخر ، ولسنا مطالبين بأن نقبل الأوضاع نقلاً ولكننا لأننا أمة لها تاريخها وقيمها فإن لنا مفهومنا المتميز للموسيقى والغناء والفن كله

ولنا رأي في كيفية تقديم هذا الفن .

والفن على الجملة طاقة توظف للترويح الخير ، وليس للفحش والشر ، فنحن لا نقر الأصوات المخنثة ولا الألحان المائعة ، ومن الضروري أن تنبثق الفنون من عقيدة الأمة ومشاعرها وطوابعها فالمجتمع المسلم يختلف عن المجتمع الغربي في أشياء كثيرة ولا بد أن يكون له فنه الخاص المحرر من التبعية ومن الشهوات .

* * *

المسرح : ذلك الخطر الكبير

أولاً : الدراما والصراع بين الإله والإنسان (أو بين الإنسان والإنسان) أبرز ما في الفن المسرحي فكرة الدراما .

تقوم فكرة الدراما أساساً كما عرفها الإغريق على الصراع بين الآلهه والبشر وهذا المفهوم يشكل جوهر التراث الإغريقي المسيحي بأكمله وهو يتعارض مع مفهوم الإسلام لفكره القضاء والقدر فإن الإسلام يرفض فكرة الصراع ويقرر فكرة التسليم بقضاء الله تبارك وتعالى .

هذا هو أساس الدراما التي لا يعرفها الإسلام لأنها مزاعم باطلة والمقصود بالدراما أن الإنسان يعبر عن انفعال أو مأساة أو ما شابه ذلك .

يقول المستشرق ماسينون : ليس لدى المسلمين فن الدراما أو المأساة الموجودة في قلب الإنسان كما يعرضها التفكير الأوربي .

أما المسلمون فهي مشروطة عندهم بالإرادة الإلهية والقضاء والقدر ويقول الدكتور عبد الحميد محمد إبراهيم : إن فكرة الدراما قد ارتبطت

بمفهوم القضاء والقدر منذ البدايات الأولى للنشاطات المسرحية ومفهوم القضاء والقدر يختلف من عقيدة إلى أخرى .

وفكرة القضاء والقدر هي عنصر من عناصر الدين الذي أنزله الله تبارك وتعالى لهداية الإنسان ولما كان تصور الإغريق للمبدأ أو العقيدة قائم على أساس غير سليم من خلال تصورات بشرية فقد جاء مفهوم القضاء والقدر عندهم على أنه الصراع بين الآلهه والبشر .

وقد قام المسرح الغربي الرأسمالي على نظرية (الاندماج) مع البطل حتى لحظة التطهير من الانفعالات الضارة ، وقد استغل المبدأ الرأسمالي نظرية الاندماج هذه لما لها من مقدرة فائقة على تمويه الواقع والسيطرة على مشاعر المتفرجين وتقبيح الحسن وتحسين القبيح ، الأمر الذي جعل من المسرح تحت النظام الرأسمالي سلعة كباقي السلع الاستهلاكية .

هذه النتيجة التي وصل إليها المسرح في ظل النظام الرأسمالي هي نتيجة حتمية إذا ما نظرنا إلى التصور الكامل لمبدأ النظام الرأسمالي الذي بنى عقيدته على فكرة الحل الوسط وفصل الدين عن السياسة .

ولما كان هذا المبدأ يتعارض مع مبدأ الإسلام فإننا نرفض قضايا التراث المسرحي الذي جاء معبراً عن الأفكار الرأسمالية .

أما المسرح الاشتراكي فيقوم على أساس مفهوم الاشتراكية الشيوعية وهو الإلحاد الكامل الذي لا يعترف إلا بالمادية وحدها وبالتالي فإنه يرفض مفهوم القضاء والقدر بالتصور الذي وضعه الإغريق وتبناه النظام الرأسمالي فما بالك بالتصور الذي وضعه الإسلام .

وقد صور المسرح الاشتراكي الإنسان على أنه هو الأول والآخر في الكون فالإنسان هو الذي يصنع اقداره وهو الذي يحدد مصيره داعياً إلى تغيير المجتمع حتى يتغير الكون والإنسان .

وقد استعمل المسرح الاشتراكي نظرية (الإغراب) لتحقيق هذا التغير المطلوب ، ونظرية الإغراب تعني بأن تجعل من الواقع الذي يراد تغييره شيئاً غريباً حتى يثور الإنسان ضده ، وحتى تؤدي هذه الثورة في النهاية إلى التغيير المطلوب انطلاقاً من النظرية التي تقول : إن الإنسان يثور على كل شئ غريب عليه .

* * *

فإذا نظرنا إلى موقف الإسلام وجدناه يرفض كلا النظريتين :

الاندماج الغربية ، والإغراب الماركسية لأن هذين المفهومين يتناقضان تماماً مع تعاليم الإسلام وحيث يحول المسرح الاشتراكي مفهوم القضاء والقدر إلى مفهوم الصراع بين الإنسان وأخيه الإنسان متأثراً بالنظرية الماركسية حول استقلال النظام الرأسمالي للشعوب الفقيرة والطبقة العاملة والواقع أن ما تقدمه المسارح في البلاد العربية اليوم (كما يقول الطاهر حسن رفع الله) هو إما إنعكاس للمسرح الاشتراكي أو المسرح الرأسمالي ، وحتى المسرحيات العربية التي يكتبها كتاب عرب نجدهم يستمدون أفكارهم إما من الفكر الرأسمالي أو الفكر الشيوعي .

ومن هنا فإن الإسلام دين التوحيد يرفض كل إثارة تدل على النقيض من مفهومه الأصيل وبالتالي فهو لا يسمح بالتأثر أو التأسي بالقصص والخرافات والأساطير المنبثقة من الفن الوثني القديم

وهكذا ارتبطت فكرة الدراما أو المسرح بمفهوم القضاء والقدر (الصراع بين الإله والإنسان) منذ نشأته الأولى وفي ظل النظامين الرأسمالي والشيوعي تتمثل في الصراع بين الإنسان والإنسان .

وهكذا فإن على الفكر الإسلامي أن يحدد موقفه من مفهوم القضاء والقدر ، فما هو مفهوم الإسلام ؟

مفهوم القضاء والقدر في الإسلام يحدد أن الإنسان يعيش في دائرتين : أحداهما تسيطر عليه والأخرى يسيطر عليها .

أما الدائرة التي تسيطر عليه فإنه يقع في نطاقها وتقع ضمن هذه الدائرة الأفعال التي لا دخل له بها سواء وقعت منه أو عليه ، والأفعال التي تقع في هذه الدائرة والتي لا شأن له بوجودها قسمان :

١ – قسم يقتضيه نظام الوجود ولذلك فهو يخضع له ويسيراً سيراً جبرياً لأنه يسير مع الكون والحياة طبقاً لنظام مخصوص لا يتخلف ولذلك تقع الأعمال في هذه الدائرة على غير ما إرادة من الإنسان وهو فيها مسير وليس مخير .

٢ – وقسم لا يقتضيه نظام الوجود ، تقع فيه الأفعال التي ليست في مقدور الإنسان ولا قبل له بدفعها وهذه هي الأفعال التي تحصل من الإنسان أو عليه جبراً عنه ولا يملك دفعها مطلقاً .

فهذه الأفعال كلها والتي تحصل في الدائرة التي تسيطر على الإنسان هي التي تسمى (قضاء) لأن الله تبارك وتعالى وحده هو الذي قضاه ، ولذلك لا يمارس العبد هذه الأفعال مهما كان فيها من نفع أو ضرر أو حب أو كراهية حسب تفسير الإنسان لها وإن كان الله تبارك

وتعالى وحده هو الذي يعلم الخير والشر في هذه الأفعال لأن الإنسان لا أثر له فيها ولا يعلم عنها ولا عن كيفية إيجادها ولا يملك دفعها أو حلها مطلقاً وعلى الإنسان أن يؤمن بهذا القضاء وأنه من الله سبحانه وتعالى .

هذه الدائرة : هى دائرة استسلام وإيمان كامل بقضاء الله وقدره ولا مجال فيها للتمرد والعصيان اللذين يحدثان الصراع بين قضاء الله وقدره وبين إرادة الإنسان : الأمر الذي توهمته المبادئ الملحدة وقامت على جوهرة فكرة الصراع الدرامي التي تشكل المضمون المسرحي على غرار ما كان سائداً في عصر الإغريق : عصر النشاطات الأولى للمسرح .

أما الدائرة التي يسيطر عليها الإنسان فهى الدائرة التي يسير فيها مختاراً ، يفعل مختاراً ويمتنع عن الفعل مختاراً ولذلك فهو يُسأل عن هذه الأفعال التي يقوم بها ضمن هذه الدائرة وإنه وإن كانت خاصيات الأشياء وخاصيات الغرائز والحاجات العضوية التي قدرها الله تبارك وتعالى فيها وجعلها لازمة لها هى التي كان لها الأثر في نتيجة الفعل .

ولكن هذه الخاصيات لا تحدث هى عملاً ، بل الإنسان حين يستعملها هو الذي يحدث العمل بها ، وعلى هذا الأساس يحاسب على هذه الأفعال التي تقع في الدائرة التي يسيطر عليها فيثاب ويعاقب عليها لأنه قام بها مختاراً دون أن يكون هناك إجبار .

هنا فقط يكمن عنصر الصراع الدرامي للعمل المسرحي في الإسلام لأن العلاقة في هذا الدين بين الإنسان وربه هى علاقة استسلام لا مجال فيها للتمرد على النظام الذي فرضه الله تعالى وإن العلاقة بين الإنسان والإنسان هى علاقة سلام ، قائمة على المودة والمحبة والتآخي المبني على المفهوم الكامل لمضمون الإسلام .

ولكن العلاقة بين الإنسان ونفسه الأمارة بالسوء والمدعومة بإغواء الشيطان هى المجال الوحيد الذي يمكن أن يقوم على جدرانه دراما إسلامية أو مسرح ديني إسلامي يدعو إلى الفضيلة وتصبح الرذيلة كما تبين طبيعة الصراع بين المادة والروح وبين الإنسان والشيطان فإذا أردنا أن يكون لنا مسرح إسلامي متميز ، له شكله الخاص ، ومفهومه المنفرد المستمد من جوهر الإسلام فعلينا أن نركز مجهوداتنا في مجال الصراع بين الإنسان والنفس البشرية لإبرازه في صورة مقنعة تستمد شرعيتها من نظام الإسلام وعقيدته .

وفي هذا المجال علينا تغيير جميع المصطلحات الفنية والمسرحية المتعارضة في وضوح كامل مع الإسلام والإتيان بمصطلحات مسرحية جديدة تواكب التطور الحضاري ولا تخرج عن روح الإسلام .

أما بالنسبة لكاتب المسرحية فيجب أن يكون فناناً مستسلماً لله تعالى ولا يؤمن بما يطلقه بعضهم على الفنانين من صفات يختص بها الإله مثل الفنان المبدع والفنان الخلاق بل يجب عليه فقط أن يؤمن بأن القوة الوحيدة التي تخلق من العدم هى قوة الله تبارك وتعالى وأن دور الكاتب هو إرشاد الجمهور إلى عظمة هذا الخلق الإلهي وأن يقوم بدور المفسر البارز والعاكس للحقيقة التي خلقها الله - تبارك وتعالى - في هذا الوجود مؤكداً أن الصورة التي أوجدها الله - تبارك وتعالى - للحقيقة والكون والحياة والإنسان هى صورة فريدة لا تنكر ولا يمكن تقليدها (عبد الحميد محمد إبراهيم وآخرون) .

* * *

ولقد تساءل كثير من الباحثين المسلمين عن سر غياب الدراما (المأساة) في الأدب العربي ، يقول دكتور مناف منصور :

إن الأمر متصل أساساً بطبيعة الشخصية العربية الحضارية وبجوهر العقلية الأصيلة الراسخة فإن انعدام المأساة الأغريقية في آدابنا العربية يرجع إلى واقع المواقف العربية من الموت .

ذلك أن المسلم لا يعتبر الموت نهاية نهائية للحياة فقد كان الموت في عين العربي طريقاً إلى حياة ثانية ، إلى نشور وإلى بعث أخروي ولم يكن منفذاً إلى طريق مسدود ، وهكذا كان الموت مثل الولادة مرحلة أخرى في ناموس الحياة ، ومن هنا لم يستطع الموت أن يوحي بالصراع الضروري ، وبالتوتر الحاد بين الحياة والموت اللذين نجدهما في المأساة ، نعم هناك إيمان بالموت وبحشر الأجساد بالذات بعد الموت .

فعند كُتاب المأساة أن الإنسان وحده يتحمل مسئولية ما يقرره هو نفسه وإن كان ثمة قدر يتحرك بغير مصلحة البطل أو المصلحة فإن البطل هو الذي يختار بنفسه خطي مصيره ، والمسلم يرتبط ارتباطاً وثيقاً وكاملاً بالله – تبارك وتعالى – وليس لعبد الله إلا أن يتقبل إرادة الله التي ليس لها رد ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ وهذا يعني أن المسلم برغم تأكيد شخصيته وذاته في الوجود لا يملك إلا أن يحقق ما تمليه إرادة الله – تعالى – وله في هذا التحقق أتم عزاء وأنس ، فليس قبول المسلم بالمصيبة يجسد إرادته هو بقدر ما يعبر عن تأكيد خضوع المسلمين لإرادة الله – تبارك وتعالى – وهنا تفقد المصيبة خطها الدرامي القائم بحيث يجمد الصراع بين الذات والقدر ، أو بين الإرادة والواقع » .

* * *

فإذا ذهبنا نستعرض النصوص المسرحية المقدمة وجدناها بعيدة كل البعد عن الذوق والوجدان العربي الإسلامي فهي نصوص مستوردة ومترجمة أو مقتبسة ، وأخطر ما فيها هي استهانتها بالحقائق التاريخية أساساً وبالقيم الأخلاقية في سبيل الوصول إلى غاية الإضحاك والتسلية ، حتى أن بعض برامج الدراما تهدد قيمنا الأصلية وتسخر من الثوابت الأساسية في الاجتماع والأسرة وأن كثيراً من البرامج الترفيهية تحفل بما لا يليق تقديمه لشعب متدين يعتز بقيمه وأخلاقه فضلاً عن فرض صور جنسية لا تمثل المشاعر الإسلامية ولا العربية حيث تقوم على العنف والجنس بصورة صارخة .

يقول دكتور محمد كاظم الظواهري : إن كثيراً مما يسمى مسرحاً هو قمامة لندن وباريس وفي الأعمال المعروضة بضاعة مستوردة ، عبارة عن سموم عقائدية وإسقاطات أيدلوجية .

وقد حرص الغرب على اتهامنا بأن الفن شئ والفكر والأخلاق شئ آخر ، وقد ردد هذا كثيرون من أدبائنا وهذا من أخطر المفاهيم الوافدة ، تتجاهل القيم والأخلاق والمثل العليا مع فتح الباب على الأدب المكشوف وكل ما يناقض القيم والمفاهيم الإسلامية مما يعرض ويزخر به المسرح . إن الأدب المسرحي الغربي الذي يتأثر به كتابنا مبني على فقدان الثقة بالخالق – تبارك وتعالى – وعلى عدم الإيمان بجدوى الوجود والحياة وعدم الإيمان بمعقولية العقل ومنطق الفكر وإنه يزخر بروح تشاؤمية يعرضه نتيجة عدم الإيمان وآخر ما في النص المسرحي تنكره لشخصية مجتمعه ومعتقداته وأخلاقه وذوقه وفنه .

ثانياً : إعلاء العامية

إن من أخطر أهداف الأعمال المسرحية هدم اللغة العربية الفصحى وهذا الدافع مستمد من الحقد على الإسلام والقرآن الكريم .

يقول دكتور كاظم الظواهري : إن المحرض الذي دفع إلى العامية والذي ينزل الجهاد في نشرها هم ورثة الصليبين من المبشرين ، إما من النصارى أو من اليهود أو من المخدوعين بحضارة أوربا وبهرجها ﴿ زُيِّن لهم سوء أعمالهم ﴾ .

وإن أول من تولوا كبر هذه الدعوة إلى العامية كانوا من المهتمين بالمسرح ، وقد كان المسرح منذ أوجد في بلادنا - ولايزال - هو المجال الرحب الواسع الصدر لهذه الدعوة .

وقد كان المسرح محضنا لكل دعوة هدامة .

وهناك قوى أربع تقود الصراع لنصرة العامية على الفصحى في سائر المجالات وخاصة في المسرح :

١ - أعداء الإسلام من المستعمرين وعملائهم .

٢ - حركة التمصير باسم الوطنية .

٣ - حركة التمصير باسم الفرعونية .

٤ - الهاربون .

ولم يقف في ساحة الصراع من أنصار الفصحى إلا أفراد من رجال الفكر والأدب (محمد عبده - علي يوسف - حافظ إبراهيم - الرافعي) هؤلاء لم يكونوا على علم بأسلحة أعدائهم - وأولها المسرح -

ولم يكونوا على علم بأهدافه وأنها كانت دائرة بعيدة المساحة التي يقفون فيها ولهذا استشرى هذا الداء في التأليف المسرحي وأصبح الشغل الشاغل لمؤلفي المسرح من أتباع هذه الدعوة تحقيق غاية كبرى وأقل منشور هو محاولة مد العامية بتراث مكتوب ودعامة تكون عموداً فقرياً لها .

ذلك أن اللغة العربية تمثل في كيان أمتنا الإسلامية معالم شخصيتنا ، لا أداة حوار فقط ، كما في الأمم الأخرى ، وقد فطن الأعداء إلى هذا فحاربوا الإسلام في شخصها .

وقد شهد القرن الرابع عشر تأجج نيران الحقد على الإسلام بهذا الأسلوب الخبيث الذي قام به عن المستشرقين والمبشرين بعض المنتسبين إلى بلادنا وفي مقدمتهم سلامة موسى ولويس عوض .

وقد جاءت كتب لويس عوض طعناً في اللغة ومحاوله تجديد الدعوة إلى نبذ اللغة العربية واستبدال لغة أوربية بها ، حروفها لاتينية أو على الأقل إحلال العاميات العربية محلها لتفتيت وحدة العرب وحبسهم عن تراثهم وتفريق المسلمين أشتاتاً .

فقصة الفصحى والعامية هى قصة إسلامية في المقام الأول وكان للمسرح الدور الأكبر في زلزلة قواعدها .

وقد كان النص المسرحي هو المجال الأرحب لتزويد العامية بأغزر تراث مكتوب لم تكن تحلم به ، وكتاب المسرح لهم دوافع تتفق معهم أو تختلف في تفضيلهم الكتابة بالعامية ، وقد زودهم العامة بزاد طيب من القفشات والنكات والتوريات التي لها في ذهن السامع خلفية تزيد من جرعة الإضحاك المبتغاة ولو على حساب القيم الإسلامية .

وقد اتخذ جماعة الماركسيين العامية شكلاً للغة الشعب والطبقة العاملة وهؤلاء جميعاً يدلون إلى عاميه تستطيع أن تقوم بمتطلبات الفن وشئون الحياة ويرونها لغة شاعرة .

ثالثاً : الانحراف الأخلاقي

إن أخطر ما تهدف إليه كتابات الفن والمسرح في الصحافة العربية هو محاولة وضع الفنانين من ممثلين وراقصين ومغنين وممثلات وراقصات ومغنيات في مجال النجومية والمثل الأعلى على نحو يجعل منهم جميعاً مثلاً أعلى أمام الشباب والشابات في نفس الوقت الذي تختفي فيه البطولات الحقيقية والنوابغ والأعلام في مجالات الفكر والاجتماع هذا في نفس الوقت الذي تتكشف فيه الأسرار عن صور خطيرة من الانحراف الأخلاقي مما يقدم عالماً غامضاً خفيفاً بكل ما فيه من ظاهر براق وباطن مظلم .

وأخطر ما فيه هو كيف تقتنص فرائس هذا المجتمع الفني وكيف تخدع الفتيات باسم الفن وزخرفة الملابس والأضواء فى هذا العالم حيث يوجد أولئك العتاة الذي يسيطرون على هذه العناصر واتباع فلسفتهم التي تتطلب الخضوع ثمناً للشهرة والظهور .

نعم : هناك المخرج الذي يسيطر ويخضع وكاتب القصة الذي يطفح قلمه بالسم الزعاف ، وهناك عمليات التمثيل واحتضان الرجل الغريب للمرأة الغريبة ، وهناك عشرات التجاوزات التي تبدو واضحة في مجال المسرح والسينما والأغنية وتغليب طابع الرقص والقبلات والاحتضان على كل مناظر الحركة كأنما هناك توجيه خفي بإفساد الناس وخلق روح العبث والإباحية .

وقد اتسعت رقعة أهل الفن والإضحاك والتسلية في السنوات الأخيرة اتساعاً شديداً وزحفت إلى مواقع خطيرة وحطمت كثيراً من الأوضاع والقيم الثوابت التي كان يجب حمايتها وعدم تجاوزها مهما بلغت الدرجة من التسامح ، وحيث هناك مجموعات هازلة من كتاب المسرحيات يكتبون أشياء مثيرة ومقززة وتمر هذه الأشياء دون أن تجد ما يحجزها فتصل إلى المشاهدين وفيهم الشباب الغض والفتاة قليلة الخبرة فتجرح الحياء وتحطم مفهوم الخلق والفضيلة وتفتح في نفوس الشباب والشابات ثغرات واسعة نحو التحرر والانطلاق وتعطي شرعية زائفة للتقليد والنقل .

وتجرى هذه المحاولات في مجال الجريمة والجنس ، والمشاهدون الآن أغلبيتهم من شباب غض لم تسمح الظروف لهم بفهم ضوابط الحياء أو الخلق أو القيم ليدخل في تلك المؤامرة الواسعة للقضاء على أخلاقيات التعامل بين الرجل والمرأة وبين الوالدين والأبناء .

ولقد تفشت هنا الظاهرة منذ وقت بعيد وتركزت في حفلات عريضة كانت ولا تزال مجالاً خصباً لتدخين الحشيش بين الرجال والنساء على السواء من أجل لذاذات هابطة ومخالفات واضحة ، وظهرت هذه التجاوزات في كلمات مقصودة وعبارات مسمومة يراد بها هدم حدود وكسر قيود ، ظهر في عدد من الأغاني هذا التجاوز وتوالت الخطوات التي تبدو أنها مرسومة مرتبة حتى تتحطم أخلاقيات هذا المجتمع .

* * *

وتبدو ظاهرة الانحراف في الوسط الفني كعلامة على الخطر ، ولم تعد صور الانحراف في الوسط الفني مقتصرة على صورة معينة من صور الانحراف إلا أنه امتد ليشمل أنواعاً عديدة من هذه الصور منها :

أولا جرائم القتل

فقد عاش الوسط الفني مثل هذه الجرائم من خلال عدة حوادث كان أبطالها وضحاياها من العاملين في الوسط الفني وعرفت أسماء كثيرة بارزة منها من وجد مقتولاً في شقته ومنها ما اتخذ من داره مدخلاً لزيارات من كل مكان حيث توجد فيها مختلف عناصر الفسق والإباحية من خمر ومخدرات ونساء ورقص .

ومن هؤلاء من يرتبط بعلاقات متعددة مع الممثلات الناشئات صغيرات السن اللائي حاولن احتراف التمثيل ، ويترددن على منزله في أوقات مختلفة من الليل ، وما يتصل بالغيرة والصراع بين الفتيات .

ثانياً : جرائم الجنس

وهذه الجرائم تعتبر القاسم المشترك في معظم الانحرافات الأخلاقية من هذه الجرائم التي وقعت مع بعض الفنانين ذوي الأسماء اللامعة ، وصلاتهم مع سيدات من أقطار عربية حيث وجدت جثة إحداهن عارية في منزله إثر ليلة من ليالي الفساد التي كان يقيمها هذا الفنان في منزله .

وكذلك حوادث ترويج الدعارة التي كانت إحدى بطلاتها فنانة كبيرة والتي كانت تديرها من خلال عناصر داخل الوسط الفني ، ومن ذلك حوادث الجنس التي حدثت في عدة عواصم عربية شرقية .

وهناك سبعة آلاف شريط من أفلام الفيديو اشتركت الفنانات في تصويرها لقاء مبالغ طائلة .

وقد وجه القضاء إلى بعض الفنانات تهمة الفعل الفاضح ، وقد ثبت

أن سبب حوادث الاغتصاب التي حدثت في السنوات الماضية يرجع إلى مشاهد الجنس في السينما كما أشار مسئول المصنفات الفنية نظراً للتأثر السريع والضار للشباب وخاصة من المراهقين .

ثالثاً : جرائم المخدرات

وقد أصبحت هذه الجرائم قرينة جرائم الجنس في الوسط الفني نظراً لازدياد عددها وانتشارها . حيث أدينت بعض الفنانات بتعاطي المخدرات وترويجها خلال حفلات أقيمت لهذا الغرض .

* * *

ويرجع هذا إلى فساد المجتمع الفني واضطرابه حيث يفرض على الممثلين والممثلات التواجد معاً في أماكن بعيدة لتصوير بعض المشاهد حيث يستمر العمل إلى ساعات متأخرة طويلة ، إضافة إلى الحفلات الخاصة التي يقيمها الفنانون أو المنتجون ، كذلك فإن المشاهد السينمائية التي يفرضها المنتج أو مسار القصة تفرض تعري الممثلة عن بعض من ملابسها ينقص أو يزيد حسب المشهد ويتم ذلك في لقطات يشوهون خلالها عاطفة الحب ويحولونها إلى مجرد إثارة جنسية لا أكثر ولا أقل وهذا كله لابد أن يفتح للشيطان مائة باب لدفع هؤلاء إلى الانحراف ، والوسط الفني يضم العديد ممن لديهم استعداد شخصي للانحراف وذلك بحسب النشأة الاجتماعية والتربية ، وهؤلاء يجدون في الوسط الفني وطبيعة العمل فيه مجالاً متوافقاً مع استعداداتهم الشخصية .

وهناك سيطرة الشخصيات الفنية (المخرج أو المنتج أو النجم الشهير) على الوسط الفني ومن حيث قدرته على منح فرص العمل

للممثلات الناشئات واستغلال ذلك النفوذ في فرض خضوعهن لنزواته مما يدفع هؤلاء الكومبارس المتطلعات إلى فرص سينمائية ترفعهن إلى مصاف النجوم التضحية بأعراضهن في سبيل الهدف .

وهناك فكرة بعض الجهات التي كانت تستعين في عهود ماضية بأهل الوسط الفني للحصول على بعض المعلومات السياسية من بعض الشخصيات الوافدة وقد عرفت قصص كثيرة تتحدث عن توظيف الجنس في عمليات الاستخبار .

وهذا كله يعني أن انتشار الفنون المسرحية والسينمائية وانحرافها وهبوطها كان يستهدف أساساً إفساد المجتمع وسلخه عن دينه ولذلك كانت الحملات الدعائية تكثف جهودها بغرض تحميل صورة نجوم هذا الفن وجعلهم مثالاً يحتذي به من قبل ملايين الفتيان والفتيات وكانت هذه الحملات تعتمد في معظمها على الجاذبية الجنسية لنجوم السينما ، ولهذا كان اعتماد المنتج السينمائي على إبراز المفاتن الجسدية لإثارة المشاهد ، وسواء كان الغرض من هذا الإنتاج الرخيص تحقيق الربح أو تحقيق أهداف عقائدية فإن المحصلة النهائية هي إفساد المجتمع المسلم .

ويؤكد على ذلك أن بداية ظهور هذا النوع من الفنون تمت على أيدي الجاليات اليهودية والنصرانية ومن وراء ذلك مخطط الماسونية الذي احتوى عدداً كثيراً من أبرز الفنانين أمثال زكي طليمات ونجيب الريحاني ويوسف وهبي ، وتركز الحملة على تشويه صورة المجتمع المصري المسلم بدعوى أن الأفلام تعالج ظواهر اجتماعية وخاصة مسألة العلاقات الأسرية حيث تصور على أنها مشحة بالخيانة والتمرد والتفكك وأخطر ما تحمل القصة والمسرحية والفيلم السينمائي وتروج له فكرة (الخيانة) في الأسرة ، هذا

مـا يحمل لواءه كل أعـلام هذا الفن بصـورة أو بـأخرى ، أو مـحـاولة جـعل الوحدات الفردية ظواهر عامة كما يحاول إحسان عبد القدوس وغيره .

والخطورة في هذا الاتجاه أن الإصرار عليه وإستمراره إضافة إلى الحملات الإعلامية المؤيدة لهذا الاتجاه قد تؤدي فعلاً إلى هدم العلاقات الأسرية .

رابعاً : إدخال القيم الإباحية وتهوين القيم

لا ريب أن المسرح يقوم أساساً على تحقيق غايات الفكر الماسوني الذي يختفي وراء القصة والمسرحية ويحاول أن يتخذ من الأعمال الفنية - بدعوى التسلية والترويح - وسيلة لفرض مفاهيم مخالفة تماماً لمفهوم الدين الحق ومن هنا كانت محاولات المسرحية أو المسلسل أو القصة إدخال الإباحيات وتهوين القيم .

ومن أهم هذه المفاهيم المسمومة فكرة إطلاق الحرية الشخصية حول مبدأ (إذا كنت تريد أن تفعل هذا الشئ فافعله ومن الحماقة ألا تفعل) وهو مـبـدأ يمكن صـاحـبـه من الوصـول إلى ارتكاب كل كبـيـرة إذا أمن العقاب .

وهذا هو مفهوم اللذة أو المنفعة .

ويرتبط به مـفـهـوم آخـر تركـز عليـه المسـرحيـات والمسلسـلات هو الاستهانة بالآباء والأمهات والاستخفاف بأفكارهم بدعوى أنهم من جيل آخر ، جيل الكهول الذي يجب إسـقـاطه والذي يعيش في الماضي ، هذا مبدأ خطير لأنه يهدم القيم الدينية والأخلاقية تماماً .

وهناك مفهوم إنكار الماضي والسخرية به جملة والنظر إليه في ازدراء .

وهذا من أخطر المفاهيم التي تهز نفسيات الأجيال الجديدة وتدمرها ومنها تكوين الشخصية العدوانية نتيجة الحوار الذي يدور في المسلسلات والمسرحيات وكله يفترض في الناس اللصوصية والحقد والتآمر على وزن مفهوم (خد الفلوس واجري) .

ومنها عرض الرذيلة في ثوب برئ لإقناع الناس بالإقبال عليها وخاصة عرض المخادع وتغيير الملابس في غرف النوم واهتزازات الفراش بما يوحي باللقاء الجنسي .

ووضع عالم الدين في صورة مزرية ، وإجراء الحوار على لسانه بصورة تجعله محتقراً أو ساذجاً في نظر من يرونه ، وتصوير اللقاء المحرم على أنه شئ طبيعي وشرعي ، وكشف الأجساد والعورات .

وهناك فكرة الجري وراء المال وعمل كل شئ من أجل الحصول عليه ، بالخداع أو الدس أو الجريمة .

ولقد وضعت مسرحيات خاصة لهدم مفهوم العلاقة بين الآباء والأبناء كمسرحية (مدرسة المشاغبين) وقد أحدثت هذه المسرحية تأثيراً بعيد الأغوار في شخصية مشاهديها وخاصة طلاب المدارس الثانوية فانتشرت فيهم (اللامبالاة) داخل حجرات الدراسة والنظر إلى مدرسيهم وقادتهم بعين الاستخفاف وضعف وازع احترام الأب ، فضلاً عن مظهر التعدي الفاضح على احترام المدرسة وأوقاتها ومرافقها كامتداد للاستهتار والاستخفاف كما تسربت هذه المشاعر إلى خارج نطاق المدرسة ، وإلى

العلاقة بين الوالدين ، والاستهتار بالمال العام ومرافق الدولة إلى سائر المخازي التي أزعجت الأمن .

وقد سخرت المسرحية الفلسفة الوجودية والفلسفة الفرويدية التي تجعل من اللقاء الجنسي أساس الحياة والوجود مما يؤدي إلى الإباحة الجنسية وقد عالجت المدرسة قضايا الطلاب الفاشلين رافضي العلم المستهينين بالمدرسين والمتهاونين في واجب واحترام العلاقة مع الوالدين .

* * *

وقد إتسع نطاق المسلسلات الأجنبية والأمريكية على وجه الخصوص وهى تركز على عدة اتجاهات وقيم ومفاهيم معينة .

أولها : تحسين الجريمة

حيث يجد المشاهد نفسه معجباً ومتابعاً لأبطال الجريمة معجباً بالذكاء الحاد الذي تتسم به عمليات التخطيط والتنفيذ والشجاعة الخارقة وهدوء الأعصاب في أحرج المواقف وأشدها تأزماً .

ثانياً : ترسب في الوجدان مفهوم أن النظام الرأسمالي يمكن أن يفرز المليونير الطيب كما يفرز المليونير الشرير ويكشف عن نزعة السيطرة والتسلط والجشع والإفساد وشراء الذمم والضمائر .

ثالثاً : المال يكاد يكون قيمة مطلقة وهو قيمة في ذاته فالعاهرة يمكن أن تكون محترمة ومقبولة اجتماعياً طالما كانت غنية ، والمجرم تفتح أمامه أبواب المجتمع ويحظى بإهتمام وهيبة الناس ويقيم صلاته على أعلى المستويات في السلطة طالما كان غنياً .

رابعاً : الوصول إلى النجاح بصرف النظر عن الوسيلة التي توصل للنجاح سواء كانت مشروعة أم غير مشروعة .

خامساً : الاتجاه الفردي (أنا والطوفان من بعدي) .

سادساً : تقديم كل شئ بالدولار ولا شئ يقدم بلا مقابل ، والخدمة لها ثمن ، والمساعدة لها ثمن (مذهب الذرائع) .

سابعاً : ما تحققه من الغدر اللذيذ حيث البذخ الهائل والعربات الفارهة والموائد الشهية والخمور والنساء والفاتنات والحياة الناعمة . (عبد الفتاح سليمان) .

هذا هو ما تقدمه المسلسلات الأمريكية وهو في مجموعه يتعارض مع مفهوم الإسلام .

* * *

ثم نصل في النهاية إلى موقف الإسلام من هذا الفن المعاصر فنجد أنه مرفوض تماماً ، شكلاً وموضوعاً ؛ حيث تتم فيه مخالفات شرعية (القبلة الفنية ، النوم الفني المشترك في مخدع واحد ، التعري الفني ، الزواج والطلاق) ، الزواج ينعقد بمجرد القول فضلاً عن أنه مبني على الكذب تأليفاً ونصاً حيث يقوم المؤلف بتخيل أحداث لا أساس لها والرسول ﷺ يقول .. « ويل للذي يحدث الحديث فيكذب فيه ويضحك منه الناس ويل له ، ويل له » كذلك فقد طرد الإمام علي من مسجد الكوفة كل القصاص إلا الحسن البصري وقال : أبقيتك لأنك لا تقص إلا الحق .

وقد جاء النهي عن ضرب المثل الكاذب ، أو تلفيق القصة ولو من أهل الوعظ .

ويقرر القرآن الكريم صدق القصة ﴿ إن هذا لهو القصص الحق ﴾ .

كذلك فهو يسبب اختلاط الرجال والنساء وبشكل ينهى عنه الشرع من تقبيل ومعانقة قد تصل إلى النوم معاً ، وفي تقمص الشخصية أمور خطيرة أحدها إنه يدعي شيئاً لا يتصف به ، حيث يتقمص دور الراهب أو العابد أو المجاهد ، وثانياً أنه يسيء إلى الشخصية التي يمثلها خصوصاً إذا كانت ذات موقع في التاريخ الإسلامي ويحد من عظمتها كدور خالد بن الوليد فهو حيث يمثلها يفقدها هيبتها ويضيق إطار عظمتها ، ويؤدي بها إلى ازدراء النفس لأن الممثل قبل أن يتقمص شخصية خالد كان يتقمص شخصيات مختلفة من شخصية زان وقاتل وهذه إساءة بالغة .

وأخطر من ذلك أن المؤلف والممثل يحاولان ما يسمونه بالخلق بأن يوجدا دنيا أخرى من محض خيالهم يقدمونها بديلاً عن الدنيا التي خلقها الله تبارك وتعالى ويرسمون للشخصيات أقداراً ويقضون عليهم قضاء محاولين التشبه بالله تبارك وتعالى وإقامة أوضاع تخالف ما أقام الله - تبارك وتعالى - في واقع الحياة .

وفي الحديث القدسي : يقول رب العزة : فمن يخلق خلقاً كخلقي فليخلقوا ذرة ، فليخلقوا شعيرة .

لذلك فإن في تقمص الشخصية حط من أقدار الناس العظماء ، خصوصاً إذا كانوا صحابة أو أنبياء ولقد تنبه الغرب إلى هذه الحقيقة حين أرادوا تمثيل شخصية المسيح - عليه السلام - في فيلم (كوفاديس) فإنهم لم يستعينوا بممثل مشهور وإنما أعلنوا عن حاجتهم إلى ممثل يقوم بدور المسيح واشترطوا عليه شروطاً أهمها ألا يمثل أي شخصية مشهورة بعد ذلك وألا يظهر في الأماكن العامة .

وجملة القول أن الرسول ﷺ قال : « نهينا أن يحاكي بعضنا بعضاً » .

موقف الإسلام من المذاهب الأدبية الغربية
(الكلاسيكية - الرومانسية - والواقعية الأوربية)

من الخطوات الواسعة التي قطعها الفكر الإسلامي في طريقه إلى المنابع ، تلك البذور التي أينعت نحو إنشاء مذهب إسلامي لعلم الاجتماع ولعلم النفس ولعلم الأخلاق ، وقد خطا الأدب خطوة جديدة نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد ، هذا المذهب الذي عرضه الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا في دراسته المستوعبة في هذا الشأن ، وماهو موقف الإسلام من هذه المذاهب الأدبية الغربية التي تدرس في جامعاتنا على طول العالم الإسلامي وعرضه وهي ليست أساساً من نبع الإسلام ولا لغته العربية ولاتمثل مفاهيمه وقيمة وإنما هي مفاهيم وافدة تجترها جامعاتنا دون أن تكشف حكم الإسلام فيها ، ولقد كانت نشأة هذه المذاهب في الغرب نتيجة لتحوله عن الكنيسة ومفاهيم النصرانية الغربية إلى النظرية المادية ، وقد تبين أن المذاهب الأدبية هذه ليست مذاهب أدبية في الأصل وإنما هي فلسفات وجد أنها لاتصل إلى الناس إلا عن طريق الأدب لأنه أقرب إلى النفوس وهي مناقضة لمفهوم الإسلام أساساً ومن هنا فإن علينا أن نكون واعين بما وراء هذا الفكر من حيث أن المذاهب الغربية جميعاً تقوم على المادية الجدلية والتفسير المادي للتاريخ .

وقد تبين من الدراسات ، أن هذه المذاهب تخالف ديننا وحين نقرأها يجب أن نكون واعين للذي بين أيدينا ، فالمذاهب الأدبية مرتبطة بالبيئة والعقيدة ، ولما كانت الكلاسيكية فلسفة تمجد العقل ، والرومانسية هي بمثابة ثورة على العقل وتمجيد للعاطفة ، وهذه الثورة تشمل الأعراف والمبادئ والأخلاق ، فإن الإسلام يتصادم مع هذه المبادئ من حيث أنها

تستند إلى فلسفات متعارضة مع المفاهيم الإسلامية فالمذهب الأول وثني والثـاني نصـراني وكـلاهمـا مـادي ، ونحن لانرفض العـقل ولانرفض العاطفة ، والإسلام يجمع بين العقل والعاطفة في مضمون إنساني غير مادي ولا وثني .

وقد تحـدد مـوقـفنا الإسـلامي من هذه المذاهب على هذا النحـو فـ (الكلاسـيكيـة) استنبطت من أدب اليونان والرومـان وثنيتـهـا التي جـاء الإسـلام لاجتثاث جذورها والقضاء عليها ، والإسلام يرفض كل مايحاد الله ورسـوله ، ولو كـان الكلاسـيكيـون يقـصـرون أعـمـالهم على الجـوانب الروحية ومافيها من تألق وصفاء بشئ من اهتمامهم ، فإن الأدب الإسلامي يخـتلف تماماً مع هذا المذهب لأنه يعطي كـلا الحـيـاتين المادية والروحـيـة حقها من الحياة .

وإذا كانت الكلاسيكية تدعو إلى سيطرة العقل على الأدب فإن هذا قد جـعل أدب الكلاسـيكيين ضـعيف الخـيال ، شديد الانقيـاد إلى أحكام المنطق وبذلك بعد عن المجاز الذي يعـد عنصراً أصـيلاً من عناصر الأدب وضاقت السبل في وجهه .

الإسلام والمذهب الكلاسيكي

وفي نظرة الإسـلام إلى المذهب الكلاسـيكي نجد أنه أدب وثني يدين بتعدد الآلهة ويؤمن بالصراع القائم بينها من جهة وبين الإنسان من جهة أخرى وقد بلغ هؤلاء الآلهة عندهم حداً لايكاد يحصى . وعندهم إلى جوار الآلهة إلهات (ديانا وفينوس ... إلخ) .

وقد دارت كثير من الأساطير اليونانية حول هؤلاء الآلهة ، ولايخفي

على مسلم مافي هذا الأدب من عبادة الأوثان التي جاء الإسلام لاجتثاثها والقضاء عليها إلى غير رجعة ، ولما كانت الكلاسيكية قد استمدت أصول مذهبها من القواعد التي وضعها أرسطو للشعر ، وقواعده هذه تنطلق من تصوره للحياة والكون فهو تصور يختلف عن تصورنا – نحن المسلمين – اختلافاً عميقاً ، كذلك كان الكلاسيكيون يقصرون أعمالهم بينما يعطي الإسلام الحياة المادية حقها كما يعطي الروح حقها بل أن حقوق الروح عند الأديب المسلم تنال الحظ الأوفى من الاهتمام ، ويختلف الأدب الإسلامي مع نظرية الكلاسيكية في موقفه من النماذج البشرية والأحداث التي يصورها الكلاسيكيون بخيرها وشرها بينما يصور الأدب الإسلامي الخير والشر ، ولكنه يعمل على الترغيب بالخير والحض عليه وتزيينه في النفوس ، والتنديد بالشر واجتثاثه من القلوب ، كذلك فالأدب الإسلامي يختلف من حيث أنه لايعني بالأناقة والصنعة والزخرف إرضاء الطبقة العليا من الناس بل هو للناس كل الناس يصور أفراحهم وأتراحهم ويعالج قضاياهم ومشاكلهم .

موقف الإسلام من الرومانسية

وإذا كان بين الأدب الإسلامي والكلاسيكية تناقض وتباين كثير ، فإن التناقض بينه وبين الرومانسية أكبر وأعمق ، ودعاة الأدب الإسلامي الذين يستنكرون الكلاسيكية الوثنية لايريدون أن ينتقلوا منها إلى الرومانسية التي تنبض بالروح النصرانية وذلك على الرغم من الفرق الكبير بين الوثنية المناقضة للأديان السماوية وبين النصرانية .

وإذا كان الأدب الرومانسي بنى على تحرير الأديب من قيود العقل والواقعية والانطلاق في رحاب الخيال المجنح فإن الأدب الإسلامي أدب

واقعي يجره جوادان اثنان لايستغنى بأحدهما عن الآخر ، هما جواد العاطفة وجواد العقل ، ثم أن الرومانسية تدين بأن الغاية من الأدب هي (المتعة) أما الأدب الإسلامي فلابد أن تتوافر فيه الفائدة العملية والمتعة النفسية بحيث يكون نافعاً وممتعاً في وقت معاً ، ولما كان الرومانسيون يرون أن الموضوع ليس بذي بال وإنما المهم في نظرهم طريقة معالجة الموضوع فإن الأدب الإسلامي يرفض هذا المبدأ فالأهمية الأساسية عند الأديب المسلم تنصب على الموضوع ، كما يرفض الأدب الإسلامي موقفهم من الأخلاق ، وقولهم بأن الأديب لايكون عبداً خاضعاً لقوانين الأخلاق فالأديب الإسلامي يدين بسمو أخلاق المسلم ويعمل على ترفعه عن الدنايا ويسعى لهذه المنقبة أكمل السعي ، ذلك لأن الرسول ﷺ قال : « أكمل المسلمين إيماناً أحسنهم خلقاً » ، وهم يقولون أن العقل الجيد صفة جيدة ولكن ليس لنا أن نبالغ في قيمته فإن ما لايتفق مع العقل ليس رديئاً بالضرورة والأديب المسلم الذي يعيش في رحاب القرآن ويبني أدبه عليه ، لايعزب عن باله أن كلمة العقل ومايشتق منها قد وردت في الكتاب العزيز نحواً من أربعين مرة وأن الله سبحانه وتعالى قد دعا الإنسان إلى إيقاظ عقله والاعتماد عليه في فهم مبادئ عقيدته ، وصفاء سلوكه .

ومما يؤخذ على الأدب الرومانسي قيامه على فلسفة تقديس الألم واعتباره مطهراً للنفس ، لكن الألم مالبث أن غدا عند كثير من الرومانسيين دعاوي كاذبة وتصنعاً بغيضاً يراد منه إظهار النفس بمظهر البطولة ووضعها في مقام الاستشهاد الرخيص أو مبرراً للانحلال الخلقي وارتكاب الرذائل ، والإسلام الذي هو دين الفطرة يكره التصنع والتعمل ويحارب الانحلال الخلقي ويكافح ارتكاب الرذائل

ثم أن الرومانسية ، تقوم على التحلل من جميع القواعد والقيود ، وتطلق للأديب الحبل على غاربه بينما الأدب الإسلامي يقوم على الالتزام ويدعو إليه ويتمسك به ولايخرج عليه .

موقف الإسلام من الواقعية الأوربية

كذلك فإن نظرية الواقعية ، تختلف مع مفهوم الأدب الإسلامي ، ذلك أن الواقعيين على اختلاف اتجاهاتهم يدينون بأنه : (لاإله والحياة مادة) ولايؤمنون بما وراء الطبيعة والأديب الإسلامي يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويدين بأن الطبيعة ومافيها ومن فيها إنما هي مخلوقات لله سبحانه وأنه رب السموات والأرض ورب العرش العظيم .

ثم أن الواقعيين يدينون بالنظرية الفلسفية التي تقول : إن الحياة قد بنيت على الشر وأن مافيها من مظاهر الخير ليس إلا طلاء زائفاً يموه واقعها ويخفي حقيقتها ، والمسلم يرفض هذه النظرية أيضاً ففي الحياة الخير الجزيل الأصيل الذي يفيض عليها الطمأنينة والرضا والرحمة ، وفي الحياة الشر المستطير الذي يقاوم الأديان السماوية بعامة التى إنما جاءت لتكافح الشر وتناضله وتعزز الخير وتؤازره ، ثم أن أرباب هذا المذهب قد حولوا مبادئهم هذه إلى أعمال أدبية شوهت صورة الإنسان والإنسانية ، وعبثت بالقيم والمثل وألحت في دعوة الشباب والشابات إلى التحلل من الأخلاق إذا أرادوا التفوق والنجاح ، ثم زعموا أنهم إنما دعوا إلى ذلك ليفتحوا عيون الشباب المغمضة والمسلم يرفض ذلك أشد الرفض ، ولاغرو فمتى كانت الخسة ذكاء وعبقرية ، والدناءة هدفاً ومطمحاً ؟ وكيف يحق للأديب – مهما كانت مقاصده – أن يدعو الشباب – وهم في عمر الورد –

إلى تلويث أيديهم بالخسة إذا أرادوا الشهرة وإقناعهم بأنه لافائدة ترجي من العفة ولامنفعة تتحقق من النبالة والشرف ؟

موقف الإسلام من المذهب الطبيعي

يتفوق المذهب الطبيعي على المذهب الفلسفي ، الذي لايؤمن بما وراء الطبيعة ويقف في وجه الأديان السماوية التي تدعو إلى الإيمان بالله الواحد الأحد الذي له ملك السموات والأرض ، ويعتقد أصحاب هذا المذهب أن الإنسان جزء من هذه الطبيعة وأنه إله نفسه .

ويرفض الإسلام المذهب الطبيعي فالمسلم لايكتمل إسلامه إلا إذا آمن بالله فاطر السموات والأرض وبرسوله خاتم الرسل . والمذهب الطبيعي يرى أن الحياة النفسية لاتزيد على كونها ظاهرة طفيلية تسلقت على جسم الإنسان ، والإسلام يدين بالحياة النفسية ويعدها الركيزة الأولى في بناء هذا الكائن المكرم حيث يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ وقد جعل الإسلام النفوس أصنافاً ثلاثة : النفس المطمئنة والنفس اللوامة ، والنفس الأمارة ، وقد أطلق أميل زولا على الإنسان اسم (الحيوان البشري) واعتمد في تقويمه على التجارب العملية ، والإسلام رفع من شأن الإنسان وأعلى من قدره وكرمه على غيره من المخلوقات ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾ وكتب أميل زولا يرد سلوك الإنسان إلى عوامل عضوية وأخضعه لقانون الوراثة ، والإسلام ينادي بأن كل مولود يولد على الفطرة ويعني بالفطرة الصفاء والنقاء الخالصين من كل شوائب الشر الموجهين إلى سائر ضروب الخير .

وإن هذه النظريات الفلسفية التي تبناها الطبيعيون قد أفسدت الأدب وضيقت الخناق عليه ، أما الأدب الإسلامي فقد فتح الأبواب رحبة أمام الأديب وعبد له المسالك ووسع له الآفاق وفي استطاعة الأدب الإسلامي أن يتناول الإنسان بعواطفه وأشواقه وآماله وآلامه وليس هناك من قيد يقيده إلا أن يكون هادفاً بعيداً عما يجافي الإسلام ويناقضه .

الفصل الثانى

الألعاب

أنور الجندى

بيت الحكمة ص ب (٥ ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر ت. وفاكس ٢٢٠٧١٢٤

في مفهوم الإسلام يجب أن تكون الألعاب ضمن برنامج عمل كامل ، لها وقتها بعد استيفاء حظ العمل ، ترويحاً عن النفس ، ثم عودة إلى العمل لأن الوقت هو الحياة ، أما أن يتجه الإنسان إلى اللعب ليضيع وقته كله فيه ، فيغفل عن مهمته الحقيقة في الحياة ويغفل عن حق الله - تبارك وتعالى - عليه وعن فرائضه الموقوتة لوقتها المحدد .

لقد حاولت القوى العاملة على هدم شباب الأمة الإسلامية وتمييعه ابتكار ألوان مختلفة من فنون الألعاب لايراد بها أكثر من قتل الوقت وإضاعته واحتواء المسلم في اللذات العابرة ، تقول بروتوكولات حكماء صهيون (وإنما توافق الجماهير على التخلي والكف عما تظنه نشاطاً سياسياً إذا أعطيناها ملاهٍ جديدة .

سنلهي الجماهير بأنواع شتى من الملاهي والألعاب ومزجيات الفراغ والمجامع العامة ، وسرعان مايبدأ الإعلان في الصحف للدخول في مباريات شتى في كل أنواع المشروعات كالفن والرياضة وماإليهما وهذه المتع الجديدة ستلهي ذهن الشعب حتماً عن المسائل التي سنختلف فيها معه) .

وفي ضوء هذا يجب أن تنظر إلى الرحلات والألعاب والأغاني وخاصة الرحلات المشتركة بين الرجال والنساء ، وكرة القدم التي استشرى خطرها وتأثيرها على الوجدان العام .

يقول ديزمون موريس في كتابه (قبيلة كرة القدم) : إن ربع سكان كرتنا الأرضية قد تركوا كل شئ ليتفرغوا لمشاهدة الكرة . فإن الحيوان البشري فصيلة غير عادية ، فمن بين كل الأحداث في التاريخ البشري فإن

الحدث الوحيد الذي يجتذب أكبر عدد من الناس ليس سياسياً ولا احتفالاً ببعض الانجازات الهامة في الفنون والعلوم ، إنه لعبة كرة بسيطة ، ماهو الإشباع الذي يمكن أن يأتي به : روح القبيلة .

توجد جذور قبيلة كرة القدم في ماضينا البدائي ، ملاحقة الفريسة والتصويب للإصابة في مقتل ، المطاردة المثيرة بدلاً عن بهجة الصيد في المساحات الواسعة من الحقول . لقد جاءوا بالصيد إلى الناس في حلبة اسمها الكولوسيوم ، استمرت المذابح خمسمائه سنه ، مصارعة الثيران ، مطاردة الحيوانات ، كلاب ضالة أطلق عليها كلاب الصيد ، مطاردة الثيران بالكلاب للترفيه ، سوق مالي ، وصناعة ضخمة ، وتحول اللاعبون إلى نجوم مثل نجوم السينما والفن وتستخدمهم الشركات التجارية في الإعلان عن بضائعها ، شراء لاعبين بملايين الجنيهات .

ومن وراء هذا كله القوى التي تريد أن تهدم شباب الأمم وتصرفهم عن العمل الجاد ، وعن الحياة المثالية ، التي يؤدي فيها الإنسان حق الله تبارك وتعالى وحق أهله وحق مجتمعه .

لقد حث الإسلام على السباحة والرمى ، ودعا إلى توجيه الرياضة في خدمة بناء شخصيات قادرة على الجهاد والنضال والمقاومة فلابد في الإسلام من الربط بين الرياضة والدعوة الإسلامية ، يقول رسول الله ﷺ : « كل شئ ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال : مشي الرجل بين العرضتين للرمى ، وتأديبه فرسه وملاعبته أهله وتعلمه السباحة » .

ومنها أثر عن عمر بن الخطاب قوله الذائع المشهور (علموا أولادكم السباحة والرمى ومروا فليثبوا على ظهور الخيل وثباً) . لقد أقام الإسلام

منهجاً تربوياً كاملاً جامعاً للعقل والجسم والروح ، وجاءت شريعة الله
-- تبارك وتعالى -- موافقة لفطرة الإنسان وماكانت لتهمل أمر الأجسام .

فعلى الرياضة أن تكون في خدمة الدعوة الإسلامية والإعلان عن
قيمنا وحضارتنا وصلاتنا وعبادتنا .

الرياضى واللاعب في الإسلام يجب أن يكون ملتزماً ببناء جسم
قوى للدفاع عن العقيدة ، يصلى ولايشرب الخمر ولايبتغى بالرياضة
مطمعاً دنيوياً .

الفصل الثالث

تحديد النسل

أنور الجندي

بيت الحكمة ص ب (٥ - ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر ت. وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

دعوى تدعيها القوى الغربية المسيطرة لتفرضها على الأمة الإسلامية بالذات حتى لاتنمو وتأخذ مكانها الحق فوق هذا الكوكب ولتظل كما هي اليوم مرتعاً خصباً تنهب الأمم المستعمرة الغربية ثرواتها وتقدم لها فتات الموائد .

فالهدف في الحقيقة من هذه الصيحة الظالمة المظلمة : صيحة الانفجار السكاني التي تهدد الأمة الإسلامية بوقف نمو سكانها منذ أعلن القس الإنجليزي روبرت مالتوس ١٧٩٨ صيحتة عن تزايد السكان وتأثيره في تقدم المجتمع في المستقبل ، وقد اقترح فيه أن يكون النمو السكاني متلائماً مع النمو في وسائل الإنتاج بحيث لاتتحقق زيادة سكانية دون أن يكون هناك زيادة في الإنتاج وقال إن هذا التوازن بين عدد البشر وهذه الموارد لايتحقق إلا بالقيود الوضعية الطبيعية : مثل الرذائل والبؤس والمجاعة والوباء والحروب أو بالقيود الاجتماعية الوقائية مثل الأخلاق وتأخير الزواج والرهبانية وتحديد النسل .

وقد وُجد أن الدعوة موجهة أساساً إلى البلاد المستعمرة حتى يظل الأغنياء يعيشون في نفس المستوى الذي وصلوا إليه وذلك خوفاً من أن تؤدي الزيادة إلى تفوق السكان في منطقة الشرق الأوسط فيتحرروا من سلطان الغرب ويمتلكوا زمام القيادة في شتى المجالات الاقتصادية والسياسية .

فتحديد النسل في حقيقته بضاعة غربية صدرت إلينا ولاتستعمل هناك حيث أصدرت معظم دول الغرب قوانين تحرم بيع وسائل منع الحمل ، وحيث يجري العمل على تشجيع زيادة النسل .

وكذلك فإن الكيان الصهيوني أفتى حاخاماته بأن تحديد النسل خطيئة وينصح الرهبان وغيرهم قومهم بالتجاوز عن هذه الرغبة ومن ثم يصبح المسلمون وحدهم هم المقصودون بهذه العملية الخطيرة .

أما دعاوي القول بأن المواد الطبيعية في بلاد العالم الثالث لاتفي باحتياجاته فقد أكدت الإحصائيات أن هذه الموارد مازالت بكراً وهي تفوق كثيراً الزيادة في عدد السكان ، وأن الفائض الاقتصادي المحتمل يمكن تحويله إلى ضروب من النشاط المنتج بدلاً من أن يذهب إلى جيوب المرابين والوسطاء وملاك الأراضي كما يقول الأستاذ عبد الله أبو غزالة في أطروحته .

وهناك وسائل عديدة تحقق الرخاء غير الإنتاج نفسه وهو التكامل بين أجزاء الوطن الإسلامي (أو العربي على الأقل) فالمساحة المزروعة في السودان تبلغ ١٧ مليون فدان بينما تبلغ المساحة الصالحة للزراعة مائتي مليون فدان أي أن ٩٠ في المائة من المساحة الصالحة للزراعة هناك ماتزال غير مستغلة ، وفي مصر ستة ملايين فدان تمثل ٦٧ ٪ من المساحة الصالحة للزراعة ، وتؤكد التقارير الدقيقة أن العالم في القرن القادم سيأكل من ثلاث مناطق هي : السودان وأستراليا وكندا .

٢ - ولقد وضح تماماً من الأبحاث المطروحة في هذا الموضوع أن دعاه تحديد النسل لهم صلة بالسياسات العالمية الخطيرة التي تحاول أن تقلل عدد المسلمين وتحول بينهم وبين النمو وامتلاك إرادتهم في أوطانهم ، فضلاً عن الدفاع عن وجودهم نفسه وإذا رجعنا إلى عدد من الباحثين غير ذوي الأغراض من أمثال ول *ديورانت وأرنولد توينبي وغيرهم نجد تأكيداً على أن كثرة السكان تعتبر من أهم أسباب التقدم .

---

* ربما يكون ديورانت وتوينبي من غير ذوي الأغراض في هذه المسألة ، أما عموماً فمواقفهم فيها نظر .

يقول أرنولدتوينبى إن كثرة السكان هي التحدي الذي يخرج أي حضارة إنسانية إلى الوجود

وواضح أن نظرية تحديد النسل هي واحدة من النظريات المسمومة التي تروج لها الصهيونية في العالم بجوار نظرية دارون وفرويد ودوركايم وكلها نظريات ثبت فشلها ونقضتها نظريات أخرى أحدث منها والمعروف أن بروتوكلات صهيون ترمي بخططها إلى إفساد العالم وتدمير الجوييم وإمكان السيطرة عليه بعد القضاء على العقيدة والأخلاق .

هذا فضلاً عن أن الغرب نفسه يروج لهذه النظريات في أفق العالم الإسلامي وينفق عليها ويغري بها بينما لايعمل بها في بلاده بل يعمل بعكسها ، بل هم يعطون ميزات كبيرة لمن ينجب عدداً أكبر من الأبناء حتى ولو كان ذلك عن غير زواج شرعي كما تحرم الكنيسة تحريماً قاطعاً عمليات الإجهاض .

يقول برليس في كتابه له عام ١٩٨٦

إن العالم يواجه كارثة إذا تقلص نموه السكاني ، ويشير ولوز ينكرمان إلى الثروة الموجودة في البحار والتي لم يستثمر منها إلا ٧,٥ في المائة فضلاً عن الموارد الطبيعة التى لاتنفذ وأنها لاتستخدم في الوقت الحاضر بشكل كاف حيث أن كمية الأراضي المستثمرة في العالم هي ٧,٦ ٪ فقط من مجموع الأراضي الصالحة للزراعة التى تستطيع أن تعطى من المنتجات الزراعية مايكفي لـ ٣٥ مليار نسمة أي عشرة أضعاف سكان المعمورة الآن ، وفي الوقت الذي يموت من الجوع أكثر من ٥٠ مليوناً من سكان المعمورة جوعاً تلقي الدول الكبرى في البحر كميات ضخمة من الفاكهة والحبوب حرصاً على مستوى الأسعار ، وكان يمكن أن

توجه هذه الكميات إلى المستشفيات والملاجئ والمدارس .

فضلاً عن الإسراف الشديد الذي يستهلكه أهل الشمال ، حيث يستهلك كل أمريكي من المواد الغذائية مايكفي لخمسمائه هندي ، فضلاً عن أن سكان الولايات المتحدة (الذين يمثلون ٦ ٪ من مجموع سكان الكرة الأرضية) يستهلكون ثلث النفط وربع الحبوب ونصف الفوسفات كما أنهم يملكون ثلث مجموع المواد الأولية الرئيسية في العالم ومعنى هذا أن الانفجار السكاني هو في حقيقته سوء توزيع الثروة العالمية .

٣ – وفي مواجهة مايقوله المستعمرون الغربيون : إن الانفجار السكاني سيكون كارثة على العالم ، يقول الدكتور خورشيد أحمد الأستاذ بجامعة كراتشي : إن آسيا والعالم الإسلامي هما أكبر مناطق الأرض اليوم ازدهاراً بالسكان وماعدد السكان في البلاد الغربية بالقياس إليها إلا قليل ، وإن هذا التفوق السكاني سوف يقضي على الأسس التي أقامها الغرب لسياسته في العالم منذ القرون الخمسة الماضية وعلى ذلك التفوق الفني والعلمي الذي كان له على الشرق والذي استطاع به أن يقيم احتكاره السياسي على العالم . ولقد آمن الاستعمار بأن الغرب بوسعه أن يحتفظ باحتكاره السياسي على العالم إلى أبعد الأبعاد على الرغم من قلة سكانه ولكن الأوضاع الحالية والحقائق الجديدة في العالم قد فندت هذا الخيال الخاطئ وأماطت اللثام عن وجه الحقيقة . وإنه لأجل التناقص المستمر في عدد سكان الدول الغربية ظهرت بوادر الانحطاط والأفول في السياسة على الرغم من الشعور بخطأ هذا الاتجاه بعد الحرب العالمية الأولى وبخاصة أن خطة تحديد النسل ضررها أكثر من نفعها من الوجهتين السياسية والاجتماعية . وكان من نتائج ذلك أن فقدت فرنسا

مكانتها العلمية شيئاً فشيئاً وأعلن المارشال بيتان عقب الحرب العالمية الثانية بأن الأسباب الأساسية التي عملت على غزو فرنسا وإزاحتها عن مكانتها العالمية هي قلة الأطفال والسكان وقد بدأت آثارها السيئة في حياة انجلترا وغيرها وأوجست خيفة من آثارها السويد وألمانيا وفرنسا وانجلترا وإيطاليا وقد شعرت هذه الدول بحاجتها الماسة إلى إعادة النظر في خطتها بشأن عدد سكانها ولذلك فهي تبذل الآن جهوداً متتابعة لزيادة عدد سكانها بدلاً من تقليله ، إلا أن الغرب لن يستطيع مع كل هذه الجهود أن يزيد سكانه إلى حد يستطيع معه أن يحتفظ بمكانته السياسية ويبقى متربعاً على عرش السياسة العالمية بل أن الذي لاشك فيه أنه سيعود عاجزاً في المستقبل عن مقاومة الشرق والعالم الإسلامي مهما بذل من جهود لزيادة عدد السكان في أقطاره ومن هنا يتبين لنا :

أولاً : ارتباط أبعاد هذه المحاولة الخطيرة التي يقوم بها الغرب لإيقاف النمو السكاني والتفوق البشري في العالم الإسلامي .

ثانياً : إيقاف القدرة على استعمال التكنولوجيا والسيطرة عليها من الغرب ، وتحويل إرادة المسلمين لتوجيه قدراتها وثرواتها الاقتصادية والمالية إلى طريق الاستهلاك والترف ثم يقول الدكتور خورشيد :

إن هذيان أمريكا وكل ماتبذل من النصائح والمواعظ عن حل مشكلة السكان إنما هو نتيجة - إلى حد كبير - لشعورها بخطر تلك النتائج والمؤثرات السياسية المتوقعة .

ويؤيد هذه الإحصائية التي تقول أن العالم يستقبل كل يوم ٣٠٠ ألف نسمة زيادة صافية بعد الخسائر والمسلمين في هذا العدد ٢١٩ ألف

يومياً ، فالانحسار واضح الدلالة في العالم الغربي وبذلك تعرف سبب حماس الغرب لتحديد النسل بين المسلمين .

ومن الغرب يأتي العالم آرثركوبمول ليقول لنا :

طالما أنه يعجب الناس في البلاد المتقدمة إعجاباً فطرياً أن يزداد عدد سكان العالم في البلاد غير المتقدمة ولكنهم يرون في زيادتهم المضطردة خطراً داهماً على مستواهم الرفيع في المعيشة وعلى سيطرتهم على السياسة العالمية .

كما يقول ميل كارل : إن أهل الشرق سوف لايلبثون إلا قليلاً حتى يطلعوا على حقيقة الجرم الذي يقوم به الغرب تجاههم في شأن تحديد النسل ثم لايغفرونه لأهل الغرب ، لأنه استعمار من نوع جديد يهدف إلى دفع الأمم غير المتقدمة ولاسيما الأمم السوداء إلى مزيد من الذل والخسف حتى تتمكن الأمم البيضاء من الاحتفاظ بسيادتها للعالم وهي التي تدعوها إلى العمل على نشر حركة تحديد النسل ومنع الحمل في بلاد آسيا وأفريقيا في نفس الوقت الذي تدعو فيه الأمم الأوربية إلى زيادة نسلها وتستعين على ذلك بأحسن ماعندها من أسباب الدعاية .

ويقول علال الفاسي : إن أكبر الخطر أن تدرس حركة تحديد النسل منفصلة عن سياقها السياسي والتاريخي ، فنحن لانستطيع أن نفهمها على حقيقتها ولا أن نرسم لأنفسنا خطة عملية راشدة إلا داخل نطاق التحدي فإذا أضفنا إلى هذه الخطط الصهيونية لإجلاء العرب عن فلسطين وتهجير أكبر عدد ممكن من اليهود وخلق حركات داخل كل بلد إسلامي وعربي من الأقليات التي يصل فيها التصعيد أحياناً إلى الانفصال عن الوطن الوالد عرفنا أن التنقيص من عدد المواليد لايخدم إلا

مصلحة الاستعمار (على القاضي) .

والمسلمون مايزالون على تعبئة معركتهم مع الاستعمار الغربي الذي يحاصرهم بالشيوعية والسيطرة الاقتصادية والوجود الصهيوني في فلسطين ، ولما كانوا غير آمنين مكر القوى الكبرى وحقدها عليهم مما يدفعهم إلى زيادة سكانهم ورفع قوتهم السياسية والحربية .

وليعلم المسلمون أن تحديد النسل هو أحد أسلحة الصراع الحضاري بين الغرب والأمة الإسلامية في نفس الوقت الذي تعمل كل القوى يهودية ونصرانية وهندوكية ووثنية على زيادة سكانها .

الفصل الرابع

الرق والاسترقاق

أنور الجندي

بيت الحكمة - ص . ب (٥ - ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر - ت. وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

حاولت كتابات الغربيين الادعاء بأن الإسلام أبقى على الرق وأن المسلمين اتخذوا من البلاد التي فتحوها أرقاء لهم وروجوا هذه المقولة في أفريقيا خاصة وتجاهلوا أن الإنجيل لم يرد به نص صريح يحرم الاسترقاق وأن بولس أوصى الأرقاء في رسالته إلى (أهل أفسس) بآسيا الصغرى أن يطيعوا أسيادهم وأن يطيعوا السيد المسيح وجاء آباء الكنيسة فأقروا الاسترقاق ومنهم البابا جريجوري الكبير ، حدث هذا من المسيحية متابعة للمفاهيم الوثنية التي كانت سائدة عند اليونان والرومان والتي قننها ووضعها موضع الشريعة المرسومة : أرسطو وأفلاطون .

حدث هذا في حين أن الإسلام لم يقبل هذا الوضع المهين وكان الرق سائداً في الجزيرة العربية وفي غيرها فحصر الإسلام مصادر الاسترقاق في الحرب فقط بشرط أن تكون حرباً قانونية يسبقها الإنذار والإشهار وأن تكون مع القوم الكافرين ثم أعلن الإسلام في وضوح أنه لا فضل لعربي على أعجمي أو أبيض على أسود ، إلا بالتقوى وعمل على تضييق المسالك التي تؤدي إلى الرق وتوسيع المنافذ التي تؤدي إلى العتق ، ومنها أن جعل العتق كفارة لبعض مايرتكب من الأخطاء والتقصير كما خصص الإسلام بعض مال الزكاة لعتق العبيد والإماء .

(إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب) .

حدث هذا بينما يدعي الذين يروجون أن الإسلام دين الرق قد جعلوا من أفريقيا ساحة لجلب الرقيق منذ أن حلتالبرتغال بالقارة ، وتبعتها أسبانيا وانجلترا والولايات المتحدة ، التي لم تلغ الرقيق بقانون إلا عام ١٨٦٥ .

ويذكر التاريخ ماقام به الهولنديون والبرتغاليون والفرنسيون والانجليز وسواهم من دور خطير بالنسبة للرقيق ، حين حصدوا قرى بأكملها وأبادوا شعوباً وقبائل بأسرها وأقاموا خطوط القرصنة تحت اسم التجارة .

وقد ذكر المستشرق آدم مسيتز أستاذ اللغات الشرقية بجامعة بازل وأشار بصراحة إلى هذه الجريمة الشنيعة والتي قامت أساساً بمساهمة مباشرة من رأس الفتنة والشر في العالم : اليهود ، يقول في كتابه : [الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري] : وكان الرقيق يجلب كله تقريباً من الشرق الأوربي بل أن استقرار جاليات يهودية في مدن مقاطعة سكسونيا الشرقية كان راجعاً إلى تجارة الرقيق .

وكان اليهود في أثناء نقلهم الرقيق يدفعون ضرائب - وذلك في ألمانيا على الأقل - فكان قانون الجمارك في مدينة كوشينز مثلاً يقضي بأن تدفع على كل رأس من الرقيق أربعة دنانير ولما كان أسقف مدينة خور يعرض على الرأس دينارين - وينقل المؤلف عن أسقف مدينة ليون الفرنسية ذاته أمثلة من أن بعض اليهود كانوا يسرقون أبناء النصارى الفرنسيين .

وهذا يذكرنا - كما يقول الأستاذ محمد بشار - إن الإسلام الذي ساد جزيرة العرب منطلقاً نحو بقاع العالم كله وجد نفسه أمام مجتمع دولي بالغ الوحشية والهمجية ، إذ كان الاسترقاق عرف المحاربين والغزاة والقراصنة فلم يجد الإسلام بداً من المعاملة على قاعدة المثل بالمثل لكنه عمل في ذات الوقت إلى سد أبواب ومآرب هذا الرق وحض على تكريم إنسانية الأسير والرقيق وجعل عتقه باباً واسعاً من أبواب الخير ورضوان

الله - تبارك وتعالى - وجعله كفارة أيضاً لكثير من الأعمال الطارئة فالإسلام اعتبر العتق كفارة للقتل الخطأ ولليمين الظهار وجعله أحد مصارف الزكاة وأمر بمكاتبة العبيد على قدر من المال يتحرر به وألزم من نذر أن يحرر رقيقه أن يفعل ذلك فعلاً واجباً لاعودة عنه .

وهكذا يبين مدى التجني الذي واجهه المسلمون من حقد أسود إزاء موقف الإسلام من الرق .

ولقد ظهر في العصر الحديث كثيرون يحملون على الإسلام في أمر الرق وفي مقدمتهم الكردينال لافيجري الذي قادته الغاية العمياء إلى الطعن في الديانة الحنيفية الغراء وانبرى للرد عليه أحمد شفيق باشا في عقر داره في كنيسته بباريس ، يقول أحمد شفيق :

اتفق في أول يوليو ١٨٨١ أن حضرت بكنيسة سان سوليبس في مدينة باريس وسمعت الكردينال لافيجري وهو يخطب في أهل تلك المدينة ، ويصف فظائع النخاسة بأفريقيا الوسطى ويسوق لهم الحديث عن الاسترقاق وبشاعته في البلاد الإسلامية ولم يكتف بإدانة المتدينين بالدين المحمدي لهذا الأمر بل نسب قبائحه إلى نصوص الشريعة التي جاء بها النبي ﷺ .

وهي تهم لا أساس لها ولابرهان ينهض عليها وقد دعاني حب الحقيقة إلى البحث في هذا الموضوع فأتاح لي ذلك إقامة الحجة وإيراد الدليل على أن القرآن الشريف فوق كونه لم يعتبر الرقيق بمنزلة الحيوان فقد جاء بكثير من النصوص والوصايا التي تفرض على المسلمين أن يحسنوا رعايته والعناية بشأنه وأن تكون معاملتهم له بالحسنى والمرحمة ، وهو أمر يجهله حتى الآن عامة الأوربيين حتى القاطنين منهم بديار

وتحدث أحمد شفيق باشا عن الاسترقاق عند الأمم المختلفة في الأزمان القديمة عند قدماء المصريين والهنود والآشوريين والإيرانيين والصينيين والفينيقيين والإغريق والرومانيين في القديم .

ثم تحدث عن استرقاق الزنوج في أزمته الحديثة وهو مشابه للاستعمار عند الرومان نتيجة فتوح المستعمرات حتى صدر القانون الأسود في مارس ١٦٨٥ بتنظيم أحوال الأرقاء في جميع المستعمرات الفرنسية وتقرر فيه تحويل الحق المدني والسياسي للأحرار من ذوي الألوان واعتبار العتق ولادة جديدة للمعتوق ، ولم ينفذ من القانون الأسود إلا القواعد الصارمة والأحكام البالغة الشدة ، أما الأصول التي تقرر حصر سلطة الموالي أو تفرض عليهم حقوقاً لأرقائهم فكانت مهملة متروكة كأن لم تكن ، وبقي تكبيلهم بالسلاسل وجلدهم بالسياط وإحراقهم ، وقد أيدت الجهات الاستعمارية في كل زمان هذه القاعدة وهي آية تقول بأنه لايسوغ التوسط بالشرائع بين العبد وأوليائه .

ثم تساءل : هل تمكنت الديانة النصرانية من إلغاء الاسترقاق أو من تلطيف شدته وتخفيف وطأته خاصة وقد جاء في الإنجيل : إن الناس كلهم يعتبرون إخواناً ؟ غير أننا لانجد في الانجيل نصاً صريحاً ضد الاسترقاق بل أن الطوائف المسيحية لم تقل بتحريم الاسترقاق .

بل أن بولس أوصى الأرقاء في رسالته أن يطيعوا مواليهم مع الخوف والرعب وأن يعتبروا سادتهم أهلاً لكل شرف وتبجيل ، وأوصى الموالي باتباع خطة الإنصاف في معاملة أرقائهم ولما جاء آباء الكنيسة على أثر الحواريين اقتفوا أثرهم وساروا على سنتهم فأباحوا الاسترقاق

وقال أحدهم : إني لانصحك بالبقاء في الرق حتى ولوعرض عليك مولاك تحريرك فإنك بذلك تحاسب حساباً يسيراً وإن الطبيعة خصت بعض الناس أن يكونوا أرقاء واستشهد بما ذهب إليه أرسطوطاليس ، ولم تتغير أراء الكنيسة فيما يتعلق بالاسترقاق من ذلك العهد إلى يومنا هذا .

وخلاصة ذلك أن المسيحية قد ارتضت الاسترقاق ارتضاءاً تاماً إلى يومنا هذا ويتعذر على الإنسان أن يثبت أنها سعت إلى إبطاله .

قال جوستاف لوبون : إن الحق اليقين أن الرق عند الإسلاميين يخالف ماكان عليه عند النصارى تمام المخالفة إلا أن الإسلام قد ابتدأ بتقرير هذه القاعدة :

(إن المسلم المولود من أبوين حرين لايجوز استرقاقه على أي حال من الأحوال) .

وهذه القاعدة تخرج من الظلم الفاحش المهين قسماً عظيماً من العائلة البشرية وهذه القاعدة هي والحق يقال مفتاح لحل المسألة المفصلة ، وأشار أحمد شفيق باشا إلى أن الحرب هي المنبع الوحيد للاسترقاق – لا على إطلاقه – بل ذلك مقيد بشرطين :

أحدهما أن تكون الحرب قانونية منظمة ، والآخران يكون القتال مع الكفار .

وفرق الإسلام بين الوثنين والكتابيين

ولذلك كان المسلمون قبل أن يفتحوا بلداً من البلدان يبعثون إليها وفوداً للمداولة في شأن الصلح ومتى قبل الكفار لأحد الشرطين : (القتال أو الجزية) وفاهم المسلمون عهودهم وأنجزوا معهم وعودهم ، أما إذا

دارت الدائرة على الكفار فصاروا في هذه الحالة أرقاء فإن ذلك لايعني حرمانهم من حريتهم إلى الأبد - كما يفعل الرومان وغيرهم - فإن الحالة التي وقعوا فيها يمكنهم التخلص منها لأن أبواب الرحمة مفتوحة إذ يجوز لهم أن يفتدوا أنفسهم بدفع مبلغ معين كما أن للخليفة أن يطلق سراحهم لوجه الله .

لذلك فإن النخاسين لم يصاحبوا قط الجيوش الإسلامية لسرقة أولاد المغلوبين واستعبادهم وتعريض نسائهم للعساكر لأجل قضاء الأوطار منهم كما كان حاصلاً في روما ، فإن الإسلام لم يسمح قط بارتكاب أمر فظيع مثل هذا وفي الشريعة الإسلامية مايدل على شدة الرغبة في تخفيف العقوبات التي تصيب الأرقاء (اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم) (اتقوا الله في الضعيفين : المملوك والمرأة) .

(إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس) .

وتجب على السيد نفقه المملوك وكسوته بالمعروف . (لاتكلفوهم مايغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم) (إن الله ملككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم) .

هذا بالنسبة لمعاشرتهم ، ولكن الإسلام أيضاً فتح الباب لتحريرهم .

أولاً : العتق : فتح الإسلام باب العتق (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) .

ثانياً : الزواج من الأرقاء

(ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) .

(وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) .

كذلك فقد حصر الإسلام حدود الاسترقاق وعمل على إنضاب منبعه إذ حتم شروطاً وفرض قيوداً على الاسترقاق وبين الطرق التي يكون بها الخلاص من ربقته فخوطب المسلمون بأن يتقربوا إلى الله بعتق العبيد في ظروف كثيرة وأحوال متفرقة وقواعد العتق جاءت غاية في السعة ونهاية اليسر وهكذا غير الإسلام الموقف العالمي من الرقيق بأربعة أعمال كبرى :

١ - تضييق دائرة الاسترقاق
٢ - حسن معاملة الرقيق
٣ - الزواج من الأرقاء
٤ - عتق الأرقاء

وقد دحض أحمد شفيق باشا اتهامات الكردينال لافيجري الذي قال : إن الزنوج عند المسلمين ليسوا من العائلة البشرية ، وقال لقد تحقق بالبراهين الدامغة التي قدمناها أن الكردينال لافيجري قد استعمل في دعواه هذه طرق الغش والتدليس حيث قال : إن المسلمين يعتقدون أن الزنجي ليس من العائلة البشرية والهيئة الاجتماعية الإنسانية بل هو واسطة بين الإنسان والحيوانات العجم .

وأكد أحمد شفيق باشا أن الكنيسة خلال أكثر من ستمائه عام قبل الإسلام لم تحاول إبطال الرق ، بل رأيناها على الضد ، فإن جمهرة

الاسترقاق قد التهبت بدلاً من أن تخمد واتسع نطاق دائرتها عن ذي قبل ولاغـرابة في ذلك لأن هذا المذهب الذي قـام بالدعـوة لم يكن مطابقـاً لمقتضيات الطبيعة التى قضت أن يكون في الخليقة سيد حر وعبد رقيق .

وأن البـابا ليون الثـالث قـال : إن فطرة الوجـود قـضت بأن يكون بعض الجنس البـشري ملكاً للبعض الآخر ، وأن المسيو بوفنيه اسـقف مـدينة مـان استـحسن في كتابه (النظامـات الإلهيـة) عادة الاسـترقـاق وصرح بأن الرقيق تجارة محللة ولم يجسر أحد من علماء العصر أن يثير على كلامه غبار الاعتراض أما المنهاج الذي اتبع في شريعة النبي العربي محمد بن عبد الله ﷺ فيما يختص بالرقيق فكان مناقضاً لمشروع الكنيسة على خط مستقيم ذلك لأنه في العصر الذي بعثه الله - تبارك وتعالى - برسالته إلى الخلق كان يصعب عليه التعرض لأمر حلا في أنواق الشرقيين عموماً ومالوا إليه كل الميل فبقى مستمراً مقبولاً ولكن كم من آية في القرآن الكريم أوصت بحسن معامله الأرقاء وحضت على عتقهم وأمرت السـادة أن يعلمـوهـم ويرقـوا أذهانهم ويدلوهم على مـابه سـعـادتهم في المستقبل .

ومسـألة العتق مما حتم الإسلام على كل من يملك عبداً من العبيد على أن من يخالف ذلك يكون قد عرض نفسـه للعقـاب في الدار الآخرة ولايحتاج العتق في الشريعة الإسلامية إلى أصول معقدة أو عقود مشكلة كما هو الشأن في القانون الروماني بل يكفي في إنفاذه صدور لفظ دال عليه من فم المالك ولو على سبيل المزاح ، ولقد جاءت طريقة إبطال الرق الآن موافقة كل الموافقة للشريعة الإسلامية ولذلك رضيها وعقدها الملوك والأمراء المسلمون .

وقد حصرت الديانة الإسلامية من غير شك ولا مراء حدود الاسترقاق وعملت على إنضاب معينة إذ حتمت شروطاً وفرضت قيوداً لابد منها لدفع الاسترقاق وتثبيت الطرق وأوضحت الوسائل التي بها يكون الخلاص من ربقته .

ولاشك أن شريعتنا السمحة سعت في سبيل تقويض دعائم الاسترقاق وتدمير معالمه وأنه لم يكن من الأوفق المبادرة بتحريم أمر امتزجت به موائد العالم كله منذ وجد الاجتماع الإنساني ؛ فإن ذلك كان يجر وراءه بلاشك انقلاباً عظيماً في نظام الاجتماع وفتنه كبرى في نفوس الأقوام ولهذا جاءت شريعة الإسلام بهذه الغاية عن طريق آخر تزول أمامه الصعوبات وتتذلل العقبات بدلا من إثارة الخواطر والأفكار بالغاء الاسترقاق مرة واحدة فخوطب المسلمون بان يتقربوا إلى الله – تبارك وتعالى – بعتق العبيد في ظروف كثيرة وأحوال متنوعة وجاءت قواعد العتق في غاية السعة ونهاية اليسر . أهـ

الفصل الخامس

الحفريات والكشوف الأثرية

﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف بدأ الله الخلق ﴾

أنور الجندي

بيت الحكمة - ص . ب (٥ - ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر - ت. وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤



هذا توجيه من القرآن الكريم للمسلمين للانتفاع بالحفريات في التعرف على أحوال الأمم السابقة وتصحيح كثير من الأكاذيب والأخطاء التي تدعيها بعض الأمم ، ولقد كشفت الأحافير في العصر الحديث كثيراً من الحقائق التي طالما ادعى أصحابها ما يناقضها وجاءت الحفريات موافقة تماماً لما جاء في القرآن الكريم على النحو الذي يتأكد معه أنه هو النص الموثق الصحيح الوحيد الباقي على الأرض اليوم .

وكان أكثر ما عرف في هذا المجال ما يتعلق بأبناء إسماعيل – عليه السلام – وما ادعاه النصارى في شأن رسول الله المسيح وفيما يتعلق بدعاوى كثيرة لليهود (كان اكتشاف كهف قمران من أهم هذه المواقع) ولقد كانت الآثار من العوامل الخطيرة في إذاعة مفاهيم سابقة للإسلام على النحو الذي حدث باكتشاف مقبرة توت عنخ آمون فكانت إحدى وسائل النفوذ الأجنبي من أجل إحياء مذهب الفرعونية الذي حمل لواءه عديد من المتصدرين للثقافة ردحاً من الزمن حتى تبين أن هذه الظواهر لم يكن لها رصيد ثقافي يمكن أن يقام له وجود حقيقي .

وفي تل العمارنة جرى الحديث عن إخناتون وعن دعاوى التوحيد ثم ثبت أن إخناتون لم يدعُ إلى عبادة الله الواحد ولكنه وحد عبادات الفراعنة المتفرقة في عبادة قرص الشمس (آتون) هذا الدين الذي لم يرض كهنة آمون في طيبة مقر الملك لأن في انتشاره هدماً لسلطتهم وسلطة إلههم آمون المعظم فاضطر إلى الهجرة إلى تل العمارنة .

وقد تبين أن هذه الحفريات لم تحقق أهداف النفوذ الاستعماري فقد تنبه المسلمون إلى أن هذه الموجات التي خرجت من الجزيرة العربية

كالفراعنة والفينيقيين والآشوريين وغيرهم لم يكن أهله إلا عرباً في الأساس .

ومن الناحية الأخرى كشف المؤرخون وعلماء الآثار عن قانون (الانقطاع الحضاري) الذي أكد أن كل ما كان قبل الإسلام لم يعد له امتداد وأعلن آرنولد توينبى كبير مؤرخي العصر مقولته التي مازالت تدوي في آذان العصر قال : بالبحث عن الحضارة الفرعونية في كيان مصر الحديثة تبين أن الحضارة الفرعونية قد ماتت من قديم ، وقال الدكتور جمال حمدان بعد دراسة مفصلة عن مصر : إن مصر الفرعونية لم تعد موجودة إلا في المتاحف أما في الوادي فقد انقرضت كما انقرضت تماسيح النيل في النهر .

* * *

ومن ناحية أخرى فقد ناقش الأستاذ لوي لجان - من المهتمين بالكشوف الأثرية - إخبار القرآن الكريم في بعض مواقع التاريخ فقال : كان علماء أوربا الذين دونوا تاريخ الشرق القديم قبل انتشار البعثات الأثرية وتحليل نتائجها العلمية ، كانوا غالباً يستفيدون من نصوص التوراة ، بالرغم مما في هذه النصوص من تناقضات واضحة ، وقد أكدت هذه التناقضات بعد ظهور المكتشفات الأثرية في مناطق كثيرة من البلاد السورية وما بين النهرين . إن هناك هوة واسعة بين الحقيقة التاريخية وبين ما تخيله الذين عملوا في نقل التوراه وتحوير نصوصها لغايات أساسية كان القصد الرئيسي منها الحط من مكانه الشعوب المعادية لبنى إسرائيل وتزوير الأحداث لصالح الشعب الإسرائيلي وهم لم يأنفوا من السطو بشكل واسع على نصوص عديدة من أساطير العراق القديمة ورأس شمرا

وغيرها ثم ضمها إلى كتابهم المقدس على أنها من صلب تاريخهم .

ومن ذلك ادعاء بعض المؤرخين ما أسموه أسطورة الطوفان حتى اكتشفت لوحات فخارية في جنوب العراق ، تؤكد أن الطوفان حقيقة وليس أسطورة خرافية .

وقد كانت بعثة السير ليو نارد دولي الأثرية عام ١٩٢٩ هى التي اكتشفت براهين قاطعة لا تقبل الجدل على أن طوفاناً حدث جنوبي العراق حوال عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد ، طوفان لم يكن عاماً كما تخيلته التوراه ولم يقض على البشر كلهم بل أصاب منطقة معينة هى بلاد قوم نوح الذين أرسل الطوفان عقاباً لهم وليكون آية للناس (سورة الأعراف) .

وقد أشار القرآن إلى أن قوم عاد جاءوا بعد قوم نوح وأن بلدهم كانت في نفس الموقع ﴿ إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ﴾ .

* * *

(مدينة أور) ثبت أنها كانت تحريف لاسم البلد الحقيقي (إرم) وقد أظهرت أبحاث العلماء الغربيين (صمويل كرامر عن السومريين) في العشرينات من القرن الحالي أن المدينة عاشت زمنين فصل بينهما الطوفان وكانت في أيامها الأخيرة مزدهرة ازدهاراً لم يشهد له مثيل في جوها إذ ظلت عاصمة دولة السومريين القوية البأس التي سيطرت على معظم بلاد ما بين النهرين .

﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، أرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾ .

وفي سورة أخرى يوضح الحق جل جلاله ماذا فعل بها :

﴿ فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ﴾ سورة فصلت .

﴿ وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ﴾ سورة الذاريات .

﴿ إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر ﴾ القمر .

﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتيه ﴾ سورة الحاقة .

وقد ظلت اللوحات الأثرية مدفونة في آثار المدينة خمسة آلاف عام أو يزيد ولم تظهر إلا في بداية هذا القرن .

وما اظهرته الحفريات والنصوص المكتشفة من عظمة مدينة (إرم ذات العماد) وطغيان أهلها في الأرض لا يترك مجالاً للشك في أنها هى المقصودة بآيات الله البينات .

وكان أهل نوح قد عاشوا في تلك البقعة إلى أن أهلكهم الطوفان وبعد زوال آثار الطوفان قامت في الموقع نفسه سطوة أهل عاد إلى أن استحقت غضب الله - تبارك وتعالى - (فأهلكها) وجعلها كالرميم .

* * *

الفصل السادس

العمارة الإسلامية

أنور الجندى

بيت الحكمة - ص.ب (٥ - ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر - ت. وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

لاريب أن الأصالة والعودة إلى المنابع تدعو إلى أسلمة العمارة ، وهو موضوع شغل بال الباحثين طويلاً وكشف عن معالم أساسية :

أولاً : التفرقة بين العمارة العربية والعمارة الإسلامية

الواقع أن البلاد العربية وهي ذات مناخ خاص (حار جاف) قد أنتجت عمارة خاصة بها كما نراها في عمارات نجد ، وهذه العمارة تختلف عن العمارة الإسلامية التي قامت في إيران وسوريا ومصر وبلاد المغرب ، وقبل عصر الاغتراب والتفرنج كان للعمارة طابعها الخاص ، ولكنها تشترك في الروح الإسلامية المميزة عن العمارات الأخرى .

والصفة الإسلامية تعود إلى عدة عوامل سيكولوجية وطبيعية واجتماعية ؛ إذ أن معظم البلاد الإسلامية تقع بين خطي ١٠ / ٣٥ شمالاً وهي متشابهة في الجو والبيئة مما نتج عنه أن أصبحت تفاعلات الرجل المسلم متشابهة أيضاً فيما يتعلق بالعقيدة وفيما يتعلق بأثر البيئة ، مع وجود الاختلافات بالطبع في بعض النواحي غير الأساسية ؛ لهذا تحمل العمارة الإسلامية وحدة ملامح الإسلام مع التنوع كما يحمل الرجل الهندي ملامح العنصر والجنس الهندي بصفة عامة .

ثانياً : نفوذ الاستعمار

عمل الاستعمار على حجب الطابع الإسلامي حين نقل ثقافته وسلعه لنا مما أدى إلى تفتت ثقافتنا وأصبح البيت المصري والعربي بلا هوية وحتى تتحقق هوية إسلامية للأثاث العربي لابد من العودة أولاً للعمارة

الإسلامية فالأثاث والعمارة شيئان متلازمان .

فالبيت الإسلامي مفتوح على الداخل ، فتحات التهوية والإضاءة مفتوحة على صحن المنزل ، حتى المشربيات تكون لحماية الداخل من الخارج ، وهذا لايوجد في أي طراز معماري آخر ، ومن هنا جاء الارتباط بين الأثاث والعمارة ارتباطاً قوياً .

ويتحدث الدكتور حسن فتحي رائد العمارة الإسلامية في العصر الحديث فيقول : إن الطراز العربي والإسلامي قد انحسر منذ عصر محمد على ثم جاء الاستعمار فكان عاملاً قوياً لإبعادنا عن التمسك بعمارتنا الإسلامية باتخاذ النموذج المفضل له وهو : العمارة الغربية ، ومن الوسائل التي استخدمها لدعم اتجاهه حصر مصادر الثقافة المعمارية في الكتب والمجلات الأجنبية للتشجيع على العمارة الأوربية وبخاصة في الأربعينات والخمسينات حيث لم يكن هناك تخصص في العمارة العربية الإسلامية بل تحولت الدراسة إلى دراسة عامة تشمل العمارة في العالم .

ولم يفت الاستشراق إثارة الشبهات حول العمارة الإسلامية وكان المستشرق كريزول قد ردد عدداً من الشبهات حيث قال : إن العمارة لم يكن لها وجود في شبه الجزيرة العربية وقت ظهور الإسلام ، ويقول دكتور حجاجي إبراهيم :

لعل كريزول فاته أن هناك مدناً مثل المدينة (مدينة يثرب) واطامها ومكة وعمائرها والطائف بسدودها والفاو التي اقترن اسمها باسم مؤسس قسم الآثار الدكتور عبد الرحمن الأنصاري وماوجده فيها من عمائر وتحف سواء كانت آثاراً ثابتة أو منقولة ، وكذلك ماوجد في شمال شبه الجزيرة

العربية حيث (البتراء) في الأردن والعلا ومدائن صالح وحفائر شعيب في شبه الجزيرة وجنوب الجزيرة حيث قرية (الأخدود) في نجران والفاو ، كل هذه الأمثلة تنفي ما ادعاه الدكتور كريزول وتؤكد أن العرب كانوا على دراية بأساليب العمارة وتقاليدها في العصر الجاهلي .

والواقع أن ماوجد من عمارة إسلامية ليؤكد نجاح المسلمين في فتوحاتهم وتأسيس دول عمودها الفقري ثابت ألا وهو الدين الإسلامي ، ولسانها اللغة العربية وإن كان ظهر لكل قطر إسلامي سماته الخاصة فيما بعد وطرزه التي تميز بها نتيجة لمؤثرات محلية وأخرى خارجية نتيجة العلاقات بأقطار غير إسلامية (مثلما حدث في شمال وغرب أفريقيا) أو بدول إسلامية ، مثلما حدث نتيجة تأثر سلاجقة تركيا بسلاجقة إيران ، ونتيجة للمؤثرات الخارجية والمحلية ظهرت مدارس معمارية عربية إسلامية لها طابع عربي إسلامي عام مضاف إليه سمات ومميزات خاصة سواء كانت محلية أو خارجية .

ولعل أول شئ كان خالياً من المؤثرات الخارجية من الألف إلى الياء كانت دار الرسول ﷺ في المدينة وماتوالى بعدما حولت إلى مسجد أكتملت صورته النهاية في عهد سيدنا عثمان بن عفان – رضى الله عنه – وأصبح مثالاً تسير على هديه المساجد في سائر البلاد الإسلامية ولم يخضع هذا المسجد لأي تأثير جاء نتيجة احتكاك العرب بالحضارات المعاصرة وقد تميز بالبساطة أ . هـ .

وقد تجددت الدعوة إلى العودة إلى العمارة الإسلامية وعقدت مؤتمرات لإعادة روح الأصالة والإبداع لدى المعماري المسلم وتعريفه على تراث أمته الأصيل في مجال العمران والبناء والتخطيط بمفهوم العمران

الإسلامي المتفوق بأنماطه المختلفة وأشكاله الهندسية المتناسقة المتجانسة المترابطة على مر الأزمان والعصور ، ماهو في الواقع إلا نتاج فكر الإنسان المسلم الواعي الذي اعتمد على المعايير الحضارية للإسلام فطورها بمقياس رفيع متوازن امتزج بالأصالة والإبداع وتزامن وتفاعل مع الحضارات والبيئات القائمة في تناغم منسجم متوافق على حد تعبير دكتور عبد اللطيف كانو : وقد تبين أن كثيراً من المنشآت العمرانية الأخيرة التي شيدت في غيبة المفهوم الإسلامي تفتقر إلى الأصالة والعراقة وإلى المستوى الرفيع للفن المعماري الإسلامي كما أن بعضها كذلك ليس في مستوى معماري مناسب أو مقبول وإنما جاء إلى المنطقة الإسلامية وافداً دون عناء أو دراسة أو تمحيص أو ترابط وهو في حالات كثيرة إما أن يكون بدائي التصميم والنمط غريب الشكل والنمط ، أو أن يكون منقولاً نقلاً رديئاً لبعض الأنماط الدخيلة .

ولقد أخذت بعض الأفكار العربية والإسلامية في العمل على تجديد العمارة الإسلامية في أبنية رئيسية تستخدم الوسائل التكنولوجية الغربية الحديثة لتطوير وتحديث الخط المعماري العربي .

يقول الدكتور كمال الكفراوي : إن العمارة الإسلامية مرنه يسهل صياغتها لأنها ليست عمارة زخارف وكرانيش مثل عمارة عصر النهضة ولكنها تعتمد في تصميمها على المساحات .

ويقول : ولقد حافظت على الخلفية العربية الإسلامية (في بناء عمارة جامعة قطر وغيرها) مستخدماً كل الإمكانيات التكنولوجية والفنية الحديثة فالمفهوم الإسلامي هو الأصل ، وقد استخدمنا التبريد بدلاً من التكييف بنظام الأبراج الهوائية التي شاعت قديماً في منطقة الخليج

ويطلقون عليها اسم (البالاجير) وهي كلمة فارسية وقد انتقل هذا الطراز إلى المنطقة من الهند عن طريق المغول ويعّد استخدامه في المباني الحديثة نوعاً من ترشيد استهلاك الطاقة كما جرى استخدام أبراج الإضاءة العلوية في مباني القاعات الدراسية والمكتبية لتوفير إضاءة غير مباشرة من الشمس وقد تم تغليف جميع الفتحات بالمشربيات لتخفيف حدة الضوء أ هـ .



الفصل السابع

الفلكلور

أنور الجندي

بيت الحكمة - ص . ب (٥ - ١٣٤١١) شبرا الخيمة / مصر - ت. وفاكس : ٢٢٠٧١٢٤

كـان إحياء الفلكلور (التراث الشعبي) من أعمال التغريب والغزو الثقافي بهدف إحياء تراث طفولة البشرية الذي قـام على أوهـام الشـعـوب وأهوائهـا وأسـاطيـرها وخرافاتها والذي نما في الفترات التي جنحت فيها الشعوب عن رسالة الأديان الإلهية وانكفأت على الفكر الوثني .

وقد ادعى الماركسيون ودعاة الفلكلور أن إحياء هذا التراث يمكن أن يكون عامـلاً في المحافظة على الشـخصية القومية حتى تنمو وتترعرع وتتمكن من رد كل عدوان عليها ، ولم يكن ذلك صحيحاً في جملته ولا في تفاصيله فإن التاريخ الصحيح والثقافة الرفيعة هي القادرة على ذلك ، أما الفلكلور فقد قام على أدنى قدر من العواطف والمشاعر التي تتعلق بها النفوس المحدودة الأفق التي لم تستوعب الثقافة التي قدمها الدين المنزل حين دعاها إلى التحرر من الوثنيات والماديات .

وفرق عميق بين التاريخ الأصيل وبين الفلكلور ، كما أن هناك فارقاً واسعاً بين التراث وبين الفلكلور ، ذلك أن الفلكلور لا يمثل إلا هشيماً تذروه الرياح ومجموعة من التقاليد والعادات التي انحرفت عن مفهوم العقائد الصحيحة مما صنعه الإنسان الضعيف في حالات الفرح والحزن وفي خلال مراحل الاكتفاء الاجتماعي العام وهي في مجموعها خارجة عن أصول الدين الحق الذي هدينا إليه .

ولذلك فإن إحياء هذا النوع من التراث إنما هو إحياء لدعوة التفرقة والجهل والتمزق ، ذلك أن قدراً كبيراً من هذا التراث يتعارض مع القيم الأساسية التي بناها الإسلام في نفوس أهله .

أما القول بأن التراث الشعبي لمجتمع هو المرآة التي تعكس ما

استقر في الوجدان الاجتماعي من قيم عامة عبر العصور والأجيال فهو قول مردود لأن هذا التراث يمثل أدنى درجات التصور العقلي والمشاعر النفسية للطبقات الجاهلة التي لم تتنذر بأي قدر من الثقافة الحقة أو الأدب البليغ والتي لم تلم ولو إلماماً يسيراً ببيان القرآن الكريم وأسلوب الحديث النبوي الشريف من حيث المضمون الرفيع الذي يرفع النفس الإنسانية إلى ذروة الكرامة والعزة والإيثار والإخلاص .

ومـا هذه الحـواديت والمواويل والسـيـر بما تحـفل به من نكات وسخريات مما تنبو عنه النفوس الرقيقة ولايمكن أن يمثل تراث أمة مؤمنة أمدها الإسلام بزاد من العطاء والكرم ؟

الفلكلور يقوم أساساً على كتاب العامية ونظم الزجالين في مجال بدائي يمثل فكر ومشاعر طفولة البشرية ، ولا ريب أن إعادته مرة أخرى إنما هي محـاولة مـضللة ومـاكرة لحجب التراث الرفيع من عطاء الأدب العربي والحديث النبوي وردة خطيـرة بعد أن أدخل الإسـلام إلى الأمم أرقى المفـاهيم والقـيم ودل النفـوس والعـقـول إلى المعـاني العـاليـة في التضحية والوفاء والكرم والنبل والسماحة .

ولست أدري كيف يمكن أن يرتد الناس إلى المثل العامية الساذجة التي قالها البسطاء في عهود الضعف وأن كانت تتصل بأي معنى كريم فإن الشعر العربي والبيان العربي قد قدمها بصورة أعلى وأكرم .

ولقد كانت الدعوة إلى الفلكلور إعلاء لشأن العاميات ومحاولة لجعلها أداة تعبير وهي في الحقيقة لا تعبر إلا عن أدنى المشاعر وأقلها قيمة وهل يمكن أن يوضع هذا في صف أدب الفصحى أو يدرس معه ؟

* * *